الضفائر الحمراء

رواية

تأليف

هاني الدسوقي

طبعة ٢٠٢٠

الدسوقي، هاني.

الضفائر الحمراء: رواية/تأليف هاني الدسوقي؛- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٩ .

٢٤٤ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٧ ٧٨٤ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ- العنوان

٨١٣

الضفائر الحمراء

رواية

تأليف

هاني الدسوقي

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٩/١٤٦٠٨

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٧٨٤-٧

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠٢٠

الكتاب : الضفائر الحمراء

المؤلف : هاني الدسوقي

الغلاف : عصام محمد

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

إهداء

إلـى أمـي.. أتشـوق أن أبكـي علـى صـدرك.. أن أُقبـل يـدك.. تمنيت أن ترحل الدنيا ولا ترحلي أنتِ.. فالفراق مقيت.. والدموع لا تعيد الأحبه.

يـا مـن علمتنـي الحـب.. والعطـف.. والصـدق.. والسـماح.. يـا مـن علمتنـي كيـف أكـون إنســان.

لكِ أهدى هذا الكتاب..

الكاتب

هاني الدسوقي

مقدمة

الحيـاة نعيشـها بـكل معانيهـا.. بـكل مـا فيهـا.. نتـذوق مـن حلاوتهـا وبعضًـا مـن مرارتهـا.. نمشـي علـى أرضهـا الغنَّـاء المثمـرة وفي دروبهـا الغبـراء المقحلـة.. نعيـش قَدَرُنـا.. لكـن داخلنـا هـو لنـا.. عزيمتنـا، قوتنـا، إصرارنـا، عاطفتنـا، إنسـانيتنا.. نسـتطيع أن نغيـر كل شـيء فينـا.. بالطبـع لـن نصبـح ملائكـة.. بـل يسـتطيع كل واحـد منـا أن يقـول حينهـا أنـا إنســـان.

الكاتب

هاني الدسوقي

تنويـه: هـذه الراويـة لا علاقـة لهـا بالواقـع، وأيُّ تشـابُه في الأحـداث أو الأسـماء فهـو محـض مُصادفـة.

هنا القاهرة

لامست قدميه لأول مرة أرض القاهرة بحذائه المترهل وجلبابه البالي.. وقف بعض الوقت يحدق في مبانيها الشاهقة.. في وجوه أهلها.. في كل من حوله.. نعم كانت لحظة ذهول امتزجت ببعض الفرح على وجه هذا الرجل القروي.. لكنه كان بلا أدنى شك.. شيء مختلف عما شاهده شحتة الراوي في قريته.. هذا الفلاح البسيط الذي أتى للتو من قريته المتواضعة.. قرية كفر ميت أبو عميرة.. إحدى قرى الوجه البحري بمصر.. لتبهره المدينة.. كما أبهرت من قبل كل من أتى إليها.. هي القاهرة الجميلة.. حلم البسطاء التي طالما سمعوا عنها.. صورها التي ما زالت تسكن في وجدان وعقول كل من أحبها.. شاهدوا و قرؤوا كل ما طالتها أيديهم على صفحات الجرائد والمجلات.. شاهدوا بعضا من ملامحها على شاشات التلفاز.. مدنية لم يعيشوها بعد.. لكنها كانت دائما تراود عقولهم على أعتاب كل حلم جميل.. كانت حاضرة بكل أمنية تمنوها.. كانت القاهرة دائما هي الغد المشرق.. هي الأمل.. هي كل شيء في تطلعات البسطاء .. مصر أو «البندر» كما كان يطلق عليها أهل الريف.

لم يوقـــظ شـــحتة الراوي من لحظـــة انبهـــاره تلك.. إلا صوت أبنتيـــه ورد و رقية:

- يابا.. يابا.. هي دي مصر.. مصر حلوة قوي يابا.

إلتفت شحتة الراوي إلى أبنتيه وما تزال تعلو وجهه فرحة قد تكون متوارية بعض الشيء خلف ملامحه التي يكسوها بعضًا من القلق والحيرة:

- أيوه.. مصر.. مصر حلوه أُمال.

- امسكو بأيدي يا به انتي وهي كويس، خلينا نعدي الطريق.

قبض شحتة الراوي على يد ابنتيه بيمينه التي يحمل بها شاله المَعْصُوبٌ (بؤجة الهدوم) الذي يحوي كل ما أتي به من قريته.. وعلي كتفه الأيسر يحمل ابنه عبادة الذي لم يتم عامه الثاني بعد.. هذا كل ما يمتلكه هذا الرجل البسيط في هذه الدنيا.. ترجل شحته الرواي في شوارع القاهرة متجهًا إلى حي السيدة زينب.. إلى بيت نسيبه عويضة السايس بعطفة ورداني في حارة برقوق بشارع زين العابدين.. أذان الظهر قد انطلق للتو من مأذنة مسجد السيدة زينب.. ليعطر المكان.. أذان لم يسمع حلاوته من قبل.. فمؤذن القرية الشيخ عرفان الدندراوي لم يكن صوته بمثل هذا الجمال.. إنها مصر.. مصر الجميلة حتى في

أصوات الآذان التي تشع بروحانية من مآذن مسجد السيدة زينب في تناغم جميل يعطر بعبير الكلمات جنبات المكان.

أخذ شحتة الراوي ابنتاه ورد ورقية وأجلسهما بجوار سور مسجد السيدة زينب وقال لهما:

- يا بنات ديرو بالكم كويس وخلو عنيكم وسط راسكم.. إوعاكم حد فيكم يتحرك من هنا.. يا دوب أدخل أصلي الظهر وأزور المقام وأطلع على طول وخلي عبادة وياي.. ها سمعين إوعاكم تتحركوا من هنا.

ردت كل من ورد و رقية:

- حاضر يا بابا.. بس متعوئش.

أنهى شحتة الراوي صلاته وزار مقام السيدة الزينب «أم هاشم».. كان منبهرًا بالمكان.. بروحانيته بخشوع كل من فيه.. القناديل التي تتلألأ في المكان.. الآيات القرآنية المنقوشة على الجدران.. جمال وبهاء المقام.. أصوات الحامدين الطائعين.. دعاء وبكاء كل من أتى إلى هنا راجيا العفو والمغفرة من رب العالمين.

خرج شحتة الراوي من المسجد ونادى على ابنتيه ورد ورقية:

- يلا يا به انتى وهي.. همي عوزين نلحق نشوف بيت خالكم عويضة.

ترجل شحتة الراوي هو وابنتيه حاملا على كتفه ابنه عبادة.. في طريقه إلى شارع زين العابدين.. أخذ يسأل عن عطفه ورداني.. فأشار إليه بعض المارة.. إلى أن وصل إلي بيت نسيبه عويضة السايس.. طرق الباب.. سأل من بالداخل:

- مين.. مين إللي بيخبط..؟

كان هذا صوت الست حسنات زوجة عويضة.

فرد عليها شحتة الراوي:

- أنا شحتة الراوي.. شحتة الرواي نسيب عويضة ومعايا العيال.

فتحت الست حسنات الباب وهي تضع على وجهها طرحتها السوداء وقالت:

- أهلا أهلا.. يا دي النور يا دي النور.. اتفضلوا.. اتفضلوا.

فرد شحتة الراوي:

- أهلا بيكي.. معلش أنا عارف أن عويضة تلاقيه بالشغل.. بس خدى البنات عندك والواد عبادة.. وأنا هقعد على القهوة لحد ما يجي عويضة.

فردت الست حسنات:

- تنوروا يا خويا أهلاً وسهلاً.. هو عويضة على العموم مش بيتأخر عن كده.. زمانه جي بالطريق.

فقال شحتة الراوي:

- خلاص أنا قاعد على القهوة إللي على الامه.. أما يجي عويضة بس يبقى عيل من العيال ينادي عليا.

ادخل شحتة الراوي أولاده عند الست حسنات.. ونزل هو ليجلس على القهوة منتظرًا عويضة حتى عودته من عمله.

ارتسم على وجه شحتة الراوي بعضًا من الراحة وتبددت نوعا ما علامات القلق والحيرة التي كانت تعلو وجهه.. فقد قابلته الست حسنات هو وأولاده بترحاب شديد وبابتسامة كعادتها دائمًا.. وقال في نفسه:

- هي ست حسنات ست مضيافة وصاحبه واجب.. عويضة كمان رجل طيب ووشه بشوش.

لكن كان هناك ما يشغل فكر شحتة الراوي.. شيء ما يدور بعقله.. فلم تفارق السيجارة يده طيلة جلوسه على المقهى.. واحدة تلو الأخرى.. ينفخ دخانها في الهواء بعد شهيق طويل.. لعله يبدد

بعضًا من همومه.. كأن شيئًا ما يثقل على قلبه.. لا يسعه كل هذا الهواء المحيط به.. بل لا تسعه هذه الدنيا.. كان يحدث نفسه ويقول:

- يا ترى يا واد يا شحتة لما عويضة والست حسنات يعرفوا إني والعيال هنقعد عندهم كام يوم لحد ما ربنا يكرم بشغلانه.. يا ترى هيشلونا اليومين دول ولا.. ؟!

كان هذا كل ما يدور في عقل وفكر شحتة الراوي.. لقد حضر إلى القاهرة خَاوِي اليدين إلا من ابنتيه وولده وشاله المَعْصُوبٌ «بؤجة الهدوم».. لم يتبقَ لديه ولو بضعة جنيهات ليشتري بها بعض الفاكهة يدخل بها على بيت نسيبه عويضة.. كانت آخر عشرة جنيهات قد دفعها ثمن تذكرة القطار التي حضر بها وأولاده إلى القاهرة.

ما هي إلى دقائق معدودة حتى ظهر عويضة من بعيد.. توجه إلى المقهى مباشرة كعادته عند عودته من العمل.. رأى شحتة الراوي جالسًا على المقهى في انتظاره.. لم يتوقع أن يرى شحتة الراوي بعد تلك السنوات منذ أن غادر كفر ميت أبو عميرة.

أخذ عويضة، شحتة الراوي بالأحضان والقبلات وقال:

- أهلاً أهلاً يا شحتة يا راجل فينك.. حمدلله على السلامة نورت الحته.. إيه جي لوحدك ولا ايه.. فين العيال..؟!

رد عليه شحتة الراوي مبتسمًا:

- أنا عديت على البيت وسبت العيال مع الست حسنات.. وقلت أجي أقعد شوية على القهوة أشرب شوية شاي.

وقال له عويضة:

- يا راجل ده يصح برده يبقى بيت أخوك هنا وتقعد على القهوة.. يلا يلا لحسن الست حسنات تستعوئنا.. ودي مبتفوتش يا خويا يا شحتة.. وبعدين تعملها ليا حكاية ورواية.

ضحكا الاثنان وصعدا سويًّا إلى شقة عويضة المتواضعة.. فشقته غرفتان وصالة صغيرة .. إحداهما غرفة نوم والأخرى غرفة للمعيشة بها طبلية وحصيرة صغيرة.. وصالة متواضعة وضع بها كنبة بلدي (أسطنبولي) وتلفاز أبيض وأسود صغير.. فعويضة وزوجته لم يرزقهم الله بالأولاد.

فتح عويضة باب الشقة ونادى بصوته الجهور:

- يا رب ياساتر.. اتفضل يا خويا يا شحتة بيتك ومترحك.

رحبت بهم الست حسنات:

- اتفضل يا اخويا أهلاً وسهلاً الغدا على العموم جاهز ثواني وأحطة على الطبلية.

كانت الست حسنات قد أعدت الغداء.. تناول شحتة الراوي وبناته طعام الغداء مع خال الأولاد عويضة وزوجته الست حسنات.. فمنذ أن غادر شحته وأولاده القرية فجر اليوم لم يدخل في جوفه وأولاده قطعة خبز أو شربة ماء.. قام شحتة الراوي من على الطبلية حامدًا شاكرًا لله.. ومسح فمه بطرف ثوبه.. ابنتيه ورد ورقية مع خالتهم الست حسنات همو لجمع الأطباق وتنظيف المكان.

قال شحتة الراوي لبناته:

- يا بنات متنسوش توكلو أخوكم أما يصحى من النوم.

ردت أبنته الكبرى ورد:

- حاضر يابا متخافش فكرين.

وقال عويضة موجهًا كلماته إلى زوجته الست حسنات:

- طيب يا حاجة مستنين شايك الحلو بقى أنا وشحتة في المندرة.

ضحكت الست حسنات وقالت:

- برده يا راجل بتقول عليها المندرة.. أسمها أوضة الجلوس.. مش عاوز تتغير أبدًا يا عويضة.

جلسا كل من شحتة الراوي وعويضة على الكنبة البلدي (الأسطمبولي) التي تكسوها سجادة من قصاصات القماش الملون.

إنهم منذ فترة ليست بالقصيرة لم يجلسا سويا.. استرسلا بالحديث عن ذكرياتهم بالقرية وعن أهلها وأحوال الناس بها .. ثم صمتا قليلاً.. ومن ثم عاود عويضة الحديث مرة أخرى وقال:

- إيه الزيارة الحلوة دي يا شحتة.. ولا زمان يا راجل توما افتكرت ليك نسيب يا راجل تسأل عليه.. يا أهلاً يا أهلاً.

رد شحتة الراوي في نبرات متقطعة بها بعض الخجل:

- أبدًا يا عويضة يا خويا.. هي مش زيارة زي ما أنت فاكر.. طبعًا أنا ودي أشوفك من زمان.. بس إنت عارف بعد شوقية مرتى ما توفت.. والحال بالبلد زي ما انت عارف الرزق على الأد ووراياعيال عوزة علام ومصاريف ياما.. وأنا بطولي.. والمرض برده هدني.. إنت عارف أنا عندي القلب.. وكمان صدري تعبان شوية... وكانت أم العيال شيله عني ياما.. يلا ربنا يرحمها بقى.. سبتنى أنا والعيال وقطعت بينا.. بس تعرف يا عويضة يا خويا.. أنا إللي خلاني أسيب البلد واجى مصر بجد.. إني مش قادر أعيش بالدار بعد شوقيه ما ماتت.. كل مكان بيفكرني بيها.. كانت شايلة عني ياما ولا كنت حاسس بمسئولية العيال ولا البيت حتى الغيط كانت بتساعد معايا.. آه يلا ربنا يرحمها

ويجعل مثواها الجنة.. ورفع يده وقال في خشوع.. راضي عنك يا شوقية راضي عنك يا شوقية يا بنت حوا وادم.

وعندها اجهز شحتة الراوي بالبكاء.. احتضنه عويضة ليخفف عنه آلمه وذكراه.

وقال عويضة وهو يطبطب بيده على كتف شحتة:

- بس يا شحتة يا خويا متعملش في نفسك كده.. أهو ده حال الدنيا.. مين قاعد يا شحتة.. ده كاس ودايـر على العباد.. الله يرحمك يا ختى يا شوقية.. هو كان في حد في طبيتها.

- عملت طيب يا شحتة إنك جيت على مصر.. البلد هنا يا خويا زحمه.. ناس وعالم ياما.. وإن شاء الله تشتغل هنا وتربي عيالك وتجوزهم وتفرح بعوضهم.. وإن شاء الله تلاقي لقمة عيش حلوة.

رد شحتة الراوي متفائلاً من كلام نسيبه عويضة:

- شكرًا يا عويضة ياخويا.. ما هو ده العشم برده.. يا ريت تلاقي لي شغل قريب منك أو في أي حي من إللي حوليك.

رد عويضة وهو يهز رأسه:

- نام إنت والعيال بس الليلة والنهار له عنين.. ومتحملش هم ومتفكرش في حاجة.. دي الأرزاق بيد الله.. مقضية إن شاء الله.

البحث عن عمل

مع ساعات الفجر الأولى.. ترجل كل من عويضة ونسيبه شحتة الراوي إلى مسجد السيدة زينب لصلاة الفجر.. ومع طلوع النهار كان قد وصلا إلى حي باب اللوق.. حيث يعمل عويضة السايس ساعي في سنترال باب اللوق.. وبحكم وظيفته وعمله بالسنترال.. توطدت علاقته بكثير من أبناء الحي وأصبح لديه العديد من المعارف والأصدقاء.. وعلى الرغم من أن وظيفته كساعي بالسنترال وظيفة متواضعة.. إلا ان عويضة كان على معرفة تامة بكل صغيرة وكبيرة بالسنترال، وذلك بحكم السنوات الطويلة التي قضاها بالعمل هناك.. يتنقل عشرات المرات يوميًا بين هذا المكتب وذاك.

دائما ما يتردد على عويضة بالسنترال أصحاب المحلات وقاطني منطقة باب اللوق.. عويضة السايس رجل خدوم.. يساعد الكثير دون أي مقابل في إنهاء معاملاتهم اليومية مع موظفي السنترال دون تعب أو مشقة.

جلس شحتة الراوي بالمقهى أمام السنترال منتظرا عويضة حتي ينهي عمله اليومي بالسنترال.. اليوم سيصطحبه عويضة إلى

بعض معارفه بمنطقة باب اللوق.. ليبحث له عن عمل مناسب.. بدأ شحته الراوي يتأمل هذا الحي.. باب اللوق.. هذا الحي القابع بكل كبرياء وسط مدينة القاهرة العتيقة.. يحمل إرث الطبقة العليا من المجتمع المصري خلال فترة الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين.. كما يحمل أيضًا بعض هموم وأحلام الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا بالمجتمع المصري.. تلك الأبنية الضخمة كانت يومًا ما شاهدة على حقبة زمنية طويلة عاشتها مصر خلال القرن العشرين.. لم يتبقَ منها اليوم إلا تطلعات وأحلام البسطاء من قاطنى الحي والعاملين والبائعين على ضفتي شارع منصور.

أخذ شحتة الراوي يتأمل شارع منصور بما فيه من عمائر ما زالت تحتفظ ولو بالقليل من روح الأصالة والعراقة على مر السنين.. بزخارفها ونقوشها التي لا مثيل لها ونوافذها وأبوابها الضخمة العتيقة التي تعد كل منها قطعة فنية نادرة.. لكنها لم تستطع أن تقاوم عوامل الزمن وتبقى على حالها.. فقد أصابها الترهل والإهمال.. فهذا الغزو الشرس من أصحاب المحلات والمطاعم قضى على جمال وبهاء تلك العمائر.. فها هي بقالة أولاد المنياوي ومسمط السوهاجي بواجهته المميزة يتوسطان شارع منصور.. وسينما باب اللوق الصيفية التي تتسابق أفيشات الأفلام العربية والأجنبية الحديثة في فترة الثمانينات على واجهتها العتيقة

الممتلئة عن آخرها بمئات المصابيح الملونة.. واصطفاف الناس في طوابير طويلة نهاية شارع منصور.. إنها جمعية النيل الاستهلاكية فرصة لمن يستطيع أن يقاوم ويقف ساعات طويلة للحصول على أي شيء مهما كان بسيطًا أو زهيدًا.. وما هذا.. إنه محل عصير.. عصير سلامة.. تكاد لوحته لاترى من عناقيد الفاكهة المتدلية بألوانها الطبيعية من أعلى واجهة المحل.. كأنها عناقيد من نور تتلألأ.. سيارات نقل كثيرة تحاول أن تعبر الشارع.. متجهة إلى سوق باب اللوق القديم .. إنه شارع مزدحم لا يتوقف عن الحركة.. يمتلأ بالبسطاء.. كثير من الباعة يفترشون الأرصفة.. يبدؤون في تنظيم بضائعهم على رصيف شارع منصور.. لم يبقى موضع لقدم على الرصيف.. فقد أُحتل كل شبر فيه.. على الرغم من هذا العمل الدؤوب منذ الصباح.. لاتسمع صوتًا.. هدوء تام.. الكل يعمل في صمت.. الجميع يستعد لشيء ما.. الكل في الإنتظار.. وحده عامل المقهى يُسمع صوته.. فقد بدأ للتو برش بعض الماء أمام المقهى وهو يصيح بأعلى صوته.. يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم.

ما هي إلا لحظات قليلة.. صوت عالي في الجوار يخترق هذا السكون.. أيقظ شحتة الراوي من تأمله.. كان ينظر إلى المكان بعين مصور محترف.. يسجل كل تفاصيل هذا الشارع.. شارع منصور..

أنه صفير مدوي.. نظر شحتة الراوي خلفه.. إلى هذا المبنى الضخم.. الواقف في كبرياء على واجهة شارع منصور.. إنها محطة قطار باب اللوق.. صفير قطار.. قطار حلوان.. يعلن وصول أول قطار إلى المحطة .. إنها بداية يوم جديد.. لقد دقت ساعة العمل في هذا الحي.. طوفان من البشر.. موجات تتدفق من مبني المحطة.. ليكتظ شارع منصور بالمارة.. الجميع متجه إلى عمله.. إلى مكتبة.. إلى تلك الغرف الضيقة بالمباني الحكومية والوزارات والهيئات التي تمتلأ بها شوارع القاهرة المجاورة لحي باب اللوق.. أمواج من البشر تتابع.. صور لم يعهدها شحتة الراوي من قبل.. إنها المدينة.. عالم آخر يختلف عن القرية التي عاش بها.

سأل شحتة الراوي نفسه:

- معقول! إيه العالم دي كلها.. ؟! سبحان الله من شوية الدنيا هس هس.. ودلوقتي كأن القيامة قامت يا ولاد.. يا سبحان الله.. يا رب اكتب لي عيش هنا.. دي حتة حلوة قوي وناس وعالم.. ده الواحد بس لو فرش فرشة صغيرة هنا ربنا هيرزقه وهيبقى عال العال.

رفع شحته الرواي نظرة إلى السماء مترجيا الله عز وجل أن يحظى بعمل في هذا الحي وأن يرزقة الله بالرزق الحلال الوفير هو وأولاده.

عويضة السايس لم يتأخر كثيرًا.. فقد استأذن وخرج من عمله مبكرًا هذا اليوم.. توجه إلى المقهى واصطحب معه شحتة الراوي .. وقال لشحتة:

- يلا يا شحته هم يا راجل.. احنا هنروح دلوقتي على محل الحاج رضوان بتاع المكرونة.. ده محل كبير ومشهور هنا بشارع منصور وإن شاء الله نلاقي عندة شغل ليك.. هو راجل ابن حلال.. ويا رب يكتب لك لقمة عيش عنده.

ذهب عويضة مصطحبا شحتة الراوي إلى محل الحاج رضوان وما هي إلا امتار قليلة من المقهى حتى وصلا إلى المحل وقال عويضة:

- استناني هنا يا شحته بره المحل لحد ما أدخل وأشوف الحاج رضوان وهرجع لك تاني.

دخل عويضة محل الحاج رضوان وقال:

- السلام عليكم يا حاج.. أنا جي لك النهارده وعندي طلب.. ويا ريت متكسفنيش.

رد الحاج رضوان:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. إزيك يا عويضة وإزي أحوالك.. خير إن شاء الله.. إنت عارف لو نقدر نخدم مش هنقصر معاك.

قال عويضة وعلى وجهه ابتسامة ناعمة يعلوها بعض الخجل:

- أنا عارف يا حاج.. إنت متتأخرش أبدًا في فعل الخير.. عندي واحد قريبي وبدور له على شغلانة.. لسه توه جي من البلد.. أهو لو تشوف له أي حاجة عندك بالمحل.. هو راجل أمين وأنا أضمنه برقبتي.

رد عليه الحاج رضوان:

- إنت عارف يا عويضة أنا متأخرش.. بس اليومين دول الجو مريح عندي شوية.. والعمالة عندي بزيادة.. لكن إن شاء الله لو الأمور اتحسنت شوية أكيد هكلمك ويجي يشتغل.. أهو يرزق جنبنا.

خرج عويضة من محل الحاج رضوان وهو ممسك بيد شحتة الراوي.. مر على أكثر من محل عله يجد ضالته.. عمل مناسب لنسيبه شحتة الراوي.. لكنه لم يوفق هذا اليوم.. بدأ اليأس يتسلل إلى شحتة الراوي واضناه التعب.. لاحظ عويضة تغير وجه نسيبه شحته وقال له:

- جرى ايه يا راجل افرجها.. مالك مكشر ليه كده.. الشغل كثير وإن شاء الله ربنا هيكرمك يا شحته.. بس إنت قول يا رب.

- ده احنا يا دوب سألنا بشارع منصور.. وأنا حبايبي ومعارفي هنا كثير.. متقلقش ده العقل في التفكير والرب في التدبير.. هترزق إن شاء الله.

رد شحته الراوي:

- يا رب يا عويضة.. أنا بس حامل هم تعبك معايا.. ومرواحك ومجيك.. إنت راجل شقيان طول النهار.. وأنا أجي أتعبك كمان.

رد عويضة السايس وهو يعاتب شحته الراوي:

- ايه يا شحته ده.. ده كلام برده تقوله يا راجل.. تعب إيه بس.. ده إنت أخويا يا شحته مش بس نسيبى.. إن شاء الله خير يا راجل.. ربك هيدبرها إن شاء الله.

●●●

أرزاق

بعد صلاة فجر اليوم التالي.. اصطحب كل منهما الآخر وكما البارحة.. جلس شحتة الراوي على المقهى ذاته منتظرًا نسيبه عويضة لحين انتهاء عمله.. وبالفعل بعد أن انهى عويضة يوم عمله المعتاد بسنترال باب اللوق.. اصطحب شحتة الراوي وهو لا يدري إلى أين يتوجه به هذا اليوم.. فقد اضنيهما البحث يوم أمس.. وقد سأل عويضة كل من يعرفه في الحي عن عمل مناسب لنسيبه شحتة الراوي.. لكنه لم يوفق.. اتجه عويضة وشحته إلى شارع التحرير.. عبرا الطريق في اتجاههم إلى شارع شريف بوسط البلد.. لكن فجأة وقف عويضة.. شعر شحتة الراوي أن عويضة تذكر شيئًا ما.. وقال شحتة الراوي:

- عويضة انت وقفت ليه.. في حاجة.. نسيت حاجة بالشغل ولا ايه..؟

رد عويضة مبتسمًا ويده تُطبطب على كتف شحتة الراوي وقال:

- افتكرت.. ياااا إزاي فات عنى.. الحاج إبراهيم الشامي.. أيوه مطعم الشامي.. أيوه إن شاء الله ربنا هيكتب لك فيه عيش.

كانت تلك الكلمات يسمعها شحتة الراوي جيدًا ولكن لم يفهم معناها.. من هو الحاج إبراهيم الشامي .. وما هو مطعم الشامي...؟!

على الفور أمسك عويضة بيد شحتة الراوي ليعبران شارع التحرير عائدين إلى شارع منصور مرة أخرى.. بعد أن كاد يصلا إلى مشارف شارع شريف بوسط البلد.

إنه مطعم الشامي.. ترك عويضة شحتة الراوي خارج المطعم عند ثلاجة المشروبات الغازية.. ودخل المطعم يسأل أحد العاملين عن الحاج إبراهيم الشامي.. لم يكمل سؤاله بعد.. حتى آتاه صوت من داخل المطعم يناديه.. إنه صوت الحاج إبراهيم الشامي صاحب المطعم:

- اتفضل.. تعالى يا عويضة أنا جوه.. تعالى.

دخل عويضة مكتب الحاج إبراهيم الشامي:

- السلام عليكم يا حاج.. يا رب تكون بخير وبصحة وعافيه.

رد عليه الحاج إبراهيم الشامي وهو يصافحه:

- الحمدلله.. في نعمة وفضل من الله.. إزيك أنت يا عويضة.

قال عويضة:

- الحمدللّه ياحاج.. أنا جي لك يا حاج النهارده في طلب كده.. ويا رب ألاقى طلبي عندك.

رد الحاج إبراهيم الشامي مبتسمًا كعادته:

- اتفضل يا عويضة.. إيه عاوز فلوس يا بني.. مراتك بخير.. قول متتكسفش.

رد عويضة:

- لا يا حاج.. خيرك سابق.. المسألة.. أصل.

تلعثم عويضة.. الخجل يعلو وجهه من كلمات الحاج إبراهيم الشامي وترحيبه به.. فهو رجل خير.. وفي مرات عديدة وقف بجانبه في أحلك الظروف.. واليوم أتي عويضة مرة أخرى ليطلب خدمة من الحاج إبراهيم الشامي.. ارتبك عويضة ولم يستطع أن يقول شيئًا في بادئ الأمر.. إلا أن ابتسامة وبشاشة وجه الحاج إبراهيم الشامي شجعته على أن يسرد ويكمل الحديث.. وقال له الحاج إبراهيم الشامي وهو مبتسمًا:

- قول يا راجل.. في ايه.. اتكلم...؟

رد عويضة والكلمات لا تزال لا تقوى أن تبارح فمه:

- أصل.. أصل.. أصل عندي نسيبي.. شحتة توه جي من البلد وعاوز أشوف له شغل عندك.. أي شغلانة يا حاج.. المهم يأكل عيش.. عنده عيال وبيشقى عليهم.. اختي زي ما انت عارف اتوفت عمنول.. سيباله ولد وبنتين.. ربنا يعينه عليهم.. وجي مصر يجري على أكل عيشه.

قال الحاج إبراهيم الشامي وضحكاته تسبق كلماته:

- طيب يا راجل قول كده من الصبح.. والله أنت ابن حلال وقريبك ده شكله طيب وله نصيب يشتغل معانا بالمطعم.. أصل لسه الواد عليش مكلمني عاوز يروح البلد كام يوم يشوف امه.. الواد عليش ما إنت عارفه يا عويضة.. عليش إللي شغال عندي جوه بالمطبخ.. أصل أمه بعافية شوية.. أهي فرصه لقريبك ده إللي اسمه.. اسمه..

رد عويضة قائلاً:

- شحتة.. اسمه شحتة الراوي يا حاج.

تذكر الحاج إبراهيم الشامي:

- أيوه أيوه شحتة.. ياخد مكانه.. وأهو نجربه.. وإن شاء الله خير.. على فكرة هو عنده مكان يبات فيه قريب من هنا ولا لا.. ؟

رد عليه عويضة:

- ده لسه يا حاج جي توه من البلد.. وقاعد معايا بالشقة بالسيدة زينب.

قال له الحاج إبراهيم الشامي:

- طيب طيب.. أنا على العموم عندى اوضه صغيره كده فوق المطعم على السطح.. أهو ممكن يقعد فيها هو وأولاده.. وأهو يكون جنب شغله.. وياخد باله من المطعم بالليل كمان.

سارع عويضة لتقبيل يد الحاج إبراهيم الشامي:

- اللّه يخليك يا حاج.. اللّه يسترها معاك.

سحب الحاج إبراهيم الشامي يده:

- لا يا راجل إنت بتعمل إيه.. الأرزاق بيد اللّه.. إحنا مجرد أسباب.. يلا يا عويضة.. فين قريبك ده.. متضيعش الوقت.. روح شوف حالك إنت وابعته ليا.

تذكر عويضة أن شحتة الراوي لا يزال يقف على باب المطعم بجوار ثلاجة المياه الغازية.. قال وهو يخبط بيده على راسه.

- يا نهار.. ده شحتة معايا.. أيوه واقف بره.. أنا بس قلت له ينتظر قدام باب المطعم لحد ما أقابلك يا حاج.

نادى عويضة على شحتة الراوي وهو مبتسمًا:

- قرب.. قرب قوام يا شحتة.. بوس إيد عمك الحاج.. لقينا لك شغل بالمطعم.. ابسط يا عم.

توجه شحتة الراوي وانحنى ليقبل يد الحاج إبراهيم الشامي.. سحب الحاج إبراهيم الشامي يده.. وقال:

- لا يا بني بتعمل إيه.. يلا روح شوف شغلك وشد حيلك وعوزين نشوف همتك.. واما تخلص شغل آخر النهار روح هات عيالك.. وأنا قلت لعويضة إن في أوضه عندي فوق المطعم يلا وضبها وابقى بيت فيها إنت والعيال.

نادى الحاج إبراهيم الشامي على عم سيد فلافل ريس العمال:

- يا سيد.. يا سيد يا فلافل.. تعالى.. خد أخوك شحتة ومسكه مكان الواد عليش.. ده مسئوليتك من النهاردة.. عوزه يشرب الصنعة.. وابعت لي الواد عليش هو كمان عشان اديله قرشين عشان يلحق يسافر على البلد يطمن على أمه قبل ما الدنيا تليل.

ذهب عويضة.. وترك شحتة الراوي في مطعم الحاج إبراهيم الشامي ليبدأ عمله.. ذهب إلى بيته مبشرًا زوجته الست حسنات

وأولاد أختـه.. فرحـو جميعًـا بـأن شـحتة الـراوي حصـل علـى عمـل وأيضًـا علـى غرفـة أعلـى المطعـم كسـكن لـه ولأولاده.

لـم تجلس ورد وأختهـا الصغـرى رقيـه كثيـرا للاسـتعداد ليذهبـا مـع والدهـم إلـى المطعـم ببـاب اللـوق عنـد نهايـة اليـوم.. فقـد أخـذت ورد اخوهـا عبـادة لتبـدل لـه ملابسـة المتسـخه.. وأحضـرت كل مـا يمتلكانـه «البؤجـه الصغيـرة» بمـا فيهـا مـن ملابـس.. لكـن البؤجـة الآن أصبحـت منتفخـة بعـض الشـيء.. فـقد اشـترت السـت حسـنات لـكل واحـدة منهـن فسـتانًا وحـذاءً وبعـض ملابـس لأخوهـم الصغيـر عبـادة.

جلسـت ورد ورقيـة تنتظـران والدهمـا خلـف النافـذة.. حتـى ظهـر شـحتة الـراوي مـن علـى أول العطفـة.. إن وجهـه ليـس مهمومًـا كمـا كان منـذ وصولـه للقاهـرة.. وإن كان يبـدو عليـه التعـب والإرهـاق أكثـر مـن ذي قبـل.. أنـه أول يـوم عمـل لـه بالقاهـرة.

مـا إن وصـل شـحتة الـراوي إلـى بيـت عويضـة وجلـس حتـى تهافتـت عليـه كل مـن ورد ورقيـة وولـده عبـادة ليرتمـو بـين أحضانـه.. قابلـه عويضـة مصافحًـا:

- مبـروك يـا شـحتة يـا خويـا الشـغل.. ربنـا هيكرمـك إن شـاء اللّه.. الحـاج إبراهيـم الشـامي ده راجـل بتـاع ربنـا وميتأخـرش أبـدًا عـن فعـل الخيـر ومسـاعدة النـاس.. وعلـى اللّه يكـون الشـغل عجبـك.

نظر شحتة الراوي لعويضة وهو مبتسمًا وقال:

- الحمدلله الشغل عال.. ربنا يكتب لنا فيه الدوام.

قام شحتة الراوي من جلسته وهو ممسكًا بولده عبادة.. وأشار إلى ابنتيه ورد ورقية:

- يلا يا بنات همو شوية خلينا نلحق نروح باب اللوق.. الغرفة إللي ادهنا الحاج إبراهيم الشامي جزاه الله خير فوق المطعم.. بس محتاجه شغل كثير.. همو يا بنات يلا.

سارع عويضة ممسكًا بيد شحتة الراوي:

- يا راجل متجيش.. ميصحش تمشى على طول كده.. مستعجل علي إيه خليك معانا يومين لحد ما توضب الغرفة إللي فوق المطعم برحتك.. والله الست حسنات ما شبعت من العيال.. اقعد يا راجل.

قال شحتة الراوي:

- لا نقعد إيه تاني.. الحمدلله ربنا كرم بالشغل وسكن كمان.. ده احنا تقلنا عليك قوى يا عويضة.

نظر عويضة في نظره عتاب لشحتة الراوي:

- يا راجل متقلش كده.. طيب اقعد بس نتعشى سوا.

ضحك شحتة الراوي:

- عشا ايه بس يا عويضة إنت ناسي إني شغال بمطعم.

ضحك عويضة:

- على العموم مش همسك فيك أكثر من كده.. دة بيتك وإنت مش غريب.. ربنا يوفقك ويكرمك إن شاء الله.

ودع شحتة الراوي وأولاده.. عويضة وزوجته الست حسنات وذهبا إلى حي باب اللوق.. إنه العمل.. إنه البيت والسكن.. إنها حياة جديدة لم يعهدها شحتة الراوي و أولاده بعد.

●●●

مطعم الشامي

كاد سيد فلافل أن يستشيط غضبًا.. لقد تأخر شحتة الراوي كثيرا.. حسب تعليمات الحاج إبراهيم الشامي.. لايغلق المطعم حتى يصل شحتة وأولاده.. ليوصلهم سيد فلافل إلى غرفتهم بالسطح.

وصل شحتة الراوي للتو هو وأولاده.. قال سيد فلافل:

- يووووو يا شحتة اتاخرت ليه ده إحنا شطبنا من بدري وعم الحاج إبراهيم الشامي موصيني متنقلش من هنا إلا لما تيجي إنت وولادك.. وأوريك الغرفة بتعتك.. اديك اتاخرت وأم العيال هتعملي هيصة وهليله دلوقتي.

صعد سيد فلافل ومعه شحتة الراوي إلى السطح.. فتح له الغرفة وأنار له الضوء.. وقال له سيد فلافل:

- اهي دي الغرفة يا سيدي.. اه هي مكركبة حبتين.. لكن شوية نظافة هتبقى عال العال ومعاك عروستين أهم هيسعدوك.. أسيبك بقى عشان هاجي لك بكرة ان شاء الله بعد صلاة الفجر عشان نفتح المطعم.. اوعاك تروح عليك نومه يا شحته.. اوعاك فاهم.. يلا مع السلامة.

قال شحتة:

- معلش يا معلم سيد على التأخير.. على العموم مع السلامة والف شكر تعبتك معايا.. أشوفك ان شاء الله على الفجر.

دخل شحتة وأولاده الغرفة.. كان بها بعض معدات المطعم القديمة وعدد من القدور النحاسية المخزنه منذ فترة طويلة.

قال شحتة الراوي لبناته:

- يلا يا بنات همو شوية خلينا نزيح الحاجات دي على جنب عشان نفرش وننام وبعدين بكرة إن شاء الله نروق باقي الغرفة.. شكل يا بنات الحاجات دي عزيزة قوي على الحاج ابراهيم.. صحيح الحاجات قديمة بس شكلها كده والله وأعلم الحاج محتفظ بيها ومحافظ عليها مش رميها.. خدو بالكم بالراحة اوعو حاجة تتخبط.

ردت ورد:

- حاضر يابا متخفش دلوقتى بس هنفضي مكان ننام فيه وإن شاء الله بكرة من الفجر هنظف الغرفة أنا ورقيه وهنخليها زي الفل.. متحملش هم يابا.

بات شحتة الراوي وأولادة ليلته الأولى بالغرفة التي تعلو المطعم وما هي إلا ساعات قليلة حتى استيقظ شحتة الراوي على صوت آذان الفجر من مصلي قريب أمام المطعم.. كان صوت الآذان الذي ينطلق من هذا المصلي.. صوت رَخِيمٌ و عَذْبٌ.. ابتسم شحته الراوي متذكرًا ومتهكمًا في ذات الوقت على صوت الشيخ عرفان الدندراوي مؤذن القرية:

- ربنا يجازيك خير بقى يا شيخ دندراوي.. ده إنت كنت هَمّ يا راجل.. شوف الأصوات الحلوة.

صلى شحتة الراوي صلاة الفجر وخرج من المصلي مباشرة إلى المطعم حيث وجد سيد فلافل قد وصل للتو.

قال سيد فلافل:

- حرما يا شحتة.. كويس ده أنا كنت خايف لتروح عليك نومه.. يلا إيدك معايا نرفع البوابة الحديد أصلها عوزة تزييت وبتغلبني في الفتح والقفل كل يوم.

بدأ شحتة الراوي عمله بالمطعم منذ لحظات الفجر الأولى.. كان العمل مرهقًا بعض الشيء لشحته الراوي فقد تجاوز الخمسين من العمر وحالته الصحية عليلة بعض الشيء.. لكن على الرغم من مشقة العمل الذي يؤدية كان شحتة الراوي

سعيدًا بأن الله قد وفقه في الحصول على هذا العمل وعلى غرفة له ولأولاده وبنفس المكان.. نعم سيكون قريب من أولاده دائمًا ولن يخشي عليهم بعد الآن.. كان هذا الأمر كفيلاً أن يبدد هواجسه وخشيته.. فكل ما كان يقلقه أن يكون عمله بعيدًا عن سكنه ويترك أولادة الصغار بالبيت وحيدين دون رعاية، فبعد وفاة زوجته قد تضاعفت مسؤليته كـ أب وأم في آن واحد.. والسؤال الذي كان يشغل كل فكرة.. كيف سيوفق بين عمله وبين مراعاة أولاده..؟ كيف سيعمل ويترك أولاده وحيدين بالبيت.. ؟ لكن هو الله سبحانه وتعالى يدبر كل شيء.. لقد يسر الله الأمر الذي طالما كان يقلق شحتة الراوي.

قال شحتة الراوي بصوت خافت وهو يحدث نفسه:

- سبحان الله.. العقل في التفكير والرب في التدبير.. إنت عالم بالحال يا رب.. الحمدلله.. الحمدلله.

مرت الأيام سريعًا منذ أن حضر شحتة الراوي إلى القاهرة وبدأ العمل في مطعم الحاج إبراهيم الشامي.. اتقن شحتة الراوي عمله بالمطعم وكانت ثقة الحاج إبراهيم الشامي تزداد يوما تلو الآخر.. كذلك ثقة أولاد الحاج إبراهيم الشامي على اختلاف أعمارهم وطبائعهم.. فمنهم من هو في سنوات الشباب الأولى جامح كالمعلم طاهر.. يسهر الليل وينام النهار.. على خلاف ولدي

الحاج إبراهيم الشامي الأكبر سنًا، المعلم سليمان والمعلم محمود.. رجال حقًا يعتمد عليهم.. شحتة الراوي أيضًا وبذكاء وفطنة أهل القرية كان يحافظ على تلك الثقة من الجميع كبيرًا كان أم صغيرًا.

أنهى شحتة الراوي العمل اليوم مبكرًا.. فالليلة باردة عاصفة.. رياح وغبار.. لم يدخل المطعم زبون واحد منذ صلاة العشاء.. فالهواء شديد.. ولا أحد من المارة في شارع منصور.. بدأ شحتة في تنظيف المطعم مبكرًا مع باقي العاملين.. أغلق أبواب المطعم.. وتأكد من إغلاق باب مكتب الحاج إبراهيم جيدًا.

صعد شحتة الراوي إلى غرفته بالسطح:

- السلام عليكم يا ولاد.

قالت ورد:

- وعليكم السلام..خير يابا إنت جيت النهارده بدري على غير عويدك يعني.. وسمعاك وإنت بتنزل أبواب المطعم.. ليه قفلت بدري النهارده يعني..؟!

رد شحتة الراوي:

- أيوه يا بنتي العفرة النهاردة زيادة.. والجو هوا وتراب شديد الليلة.. ومفيش زباين الكل بيجري يلحق مواصلة يروح

بيها.. وأنا كلمت الحاج إبراهيم في البيت.. عشان يا بنتي برده يبقى عارف إننا قفلنا بدري.. ما هو يا بنتي لو في زباين كنا قعدنا.. بس نقعد كده ومفيش شغل ونخسر بس مون على الفاضي «تجهيز الطعام».. ميرضيش حد ده.

ردت ورد:

- والله يابا إنت بتشتغل في المطعم كأنك صاحب المطعم واخد بالك منه على الآخر.. ده لو الحاج إبراهيم ذات نفسه مش هيكون حريص قوي كده زيك.

قال شحتة الراوي:

- وده كلام برده يا بنتي.. الشغل أمانة وربك مطلع.. الشغل يمشي لو الحاج موجود أو مش موجود.. القرش الحلال يا بنتي مفيش أحسن منه.. والقرش الحرام ربنا يعافينا منه، بياخد حتى الحلال في وشه.

ردت ورد:

- الحمدلله يابا.. الراجل ده مشفناش منه إلا كل خير وبيعاملنا زي ولاده تمام.

قال شحتة الراوي:

- يلا يا ورد يا بنتي عشينا بقى.. لإني مدقتش طعم الزاد من ساعة الصبحية.. ولولا قفلنا بدري كنت خدت لقمة بحتتين بتنجان أو قرصين طعمية وتعشيت.

ردت ورد:

- حاضر يابا أنا مجهزة الأكل هسخن لك بس.

قال شحتة الراوي:

- هي البت رقية دي على طول نايمة كده.. مبتساعدكيش في حاجة خالص.

ردت ورد:

- يابا اهي بتذاكر وبتشوف حالها.. والحمدلله امورها مشيه عال.. والأستاذ عبادة كمان ذاكر واتعشى ونام.. عامل علينا راجل أهو.. طول النهار يشخط وينطر في رقية.. واعملي ده ومتعمليش ده.. لسه بابتدائي وعامل نفسه راجل علينا.

ضحك شحتة الراوي وقال:

- خدي بالك من اخواتك يا ورد.. البت رقية دي شدي عليها.. والواد عبادة برده أهو هيبقى رجلكم وسندكم بعد ما موت.

قالت ورد:

- بعد الشر عليك يابا.. ربنا يديك طولة العمر والصحة وتفرح بولاده وولاد ولاده كمان.

ضحك شحتة الراوي ضحكة ساخرة من كلمات ابنته ورد:

- ياا يا ورد ولاده وولاد ولاده كمان يا بنتي.

- يلا هاتي لقمه خليني آكل وافرد جتتي لحسن الواحد هلكان من طلعة النهار.

أطفأ شحتة الراوي نور الغرفة وخلد هو وأولادة في نوم عميق.. وما هي إلا بضع ساعات استيقظ شحتة الراوي على صوت في الأسفل.. نعم صوت في المطعم.

نزل شحتة الراوي من غرفته إلى المطعم.. أضاء بعض الأنوار.. لم يسمع صوت أو يجد نافذة مفتوحة.. لا شيء يشير إلى وجود أحد بالمطعم.. أغلق الأنوار مرة أخرى.. وتوجه إلى الأعلي.. وعند صعودة درجات السلم.. سمع صوت همس وبعض الضحكات.. نزل مرة اخرى من على درج السلم.. لكن هذه المرة اتجه إلى مصدر الصوت.. إلى مكتب الحاج إبراهيم الشامي.. ليتأكد من إغلاقه جيدًا.. إلا أنه وعلى غير المتوقع.. كانت أنوار غرفة مكتب الحاج إبراهيم مضاءة.. إنه المعلم طاهر ومعه أحد

ما بالغرفة.. اقترب شحتة الراوي من الغرفة.. فتح الباب وجد المعلم طاهر يجلس على الاريكة وفتاة تجلس أمامه على مكتب الحاج ابراهيم.. وكما يبدو من مظهر الفتاة المتأنق ومكياجها الصارخ.. إنها فتاة ليل.

قال المعلم طاهر:

- ازيك يا عم شحتة.

نظر شحتة الراوي إلى تلك الفتاه التي تجلس على مكتب الحاج إبراهيم بشمئذاذ شديد.

وقال شحتة الراوي بصوت خافت موجها كلماته إلى المعلم طاهر:

- أيه يا بني ده.. ينفع كده ده مكان أكل عيش.. تجيب الأشكال دي برده مكتب أبوك.. والهانم مقعدها على مكتب الحاج.

قال المعلم طاهر:

- يا عم شحتة دي بس هتقعد شوية كدة ومشية على طول.. متقلقش إنت بس اطلع نام.

كان المعلم طاهر يحاول أن يسترضى شحتة الراوي بقدر الإمكان.

ضحكت الفتاة بصوت عالي وقالت لشحتة الراوي:

- يا حجوج شوية ومشيين على طول.

لم يجيب شحتة الراوي على كلمات تلك الفتاة.. ووجه كلماته إلى المعلم طاهر وقال له:

- ربنا يهديك يا بني ده أبوك راجل طيب وبتاع ربنا.. الله يكرمك يا ابني خدها ومشي من هنا.

رد المعلم طاهر:

- قلت لك يا عم شحتة شوية ومشيين واحنا برده هنقعد هنا.. انا مستني بس أصحابي تامر ونعيم هيعدو عليا وهخدها وأمشي على طول.. ما إنت عارف النهاردة الجو قالب تراب والعربية بتعتي لسه بالورشة متصلحتش وما صدقنا تاكسي جبنا لحد هنا.. إطلع إنت بس نام وأنا هخدها وهمشي على طول.. متقلقش.

ابتسم المعلم طاهر ابتسامة يعلوها بعضًا من الخجل وقال:

- اوعي تقول للحاج إبراهيم أي حاجة يا عم شحتة.. سلام يا راجل يا طيب.

صعد شحتة الراوي إلى غرفته مرة أخرى.. وهو يحدث نفسه بصوت خافت ويقول:

- ربنا يهديك يا بني.. المشي البطال أخرته وحشه.

لـم تكـن تلـك أولـى مغامـرات المعلـم طاهـر ولا آخرهـا.. إنـه يهوى السهر والشراب.. يرافق الكثير من الفتيات.. لم تسلم فتاة مـن مناوراتـه العاطفيـة.. يبهرهـن بوسـامته وبغنـاه وشـبابة.. نعـم شـاب طائش.. الحـاج إبراهيـم الشـامي يحـاول أن يكـون حازمًـا معـه دائمًـا.. إلا أن والدتـه الحاجـة أم سـليمان تغـدق عليـه بالمـال دون حسـاب.. يصـرف ببـذخ كيفمـا يشـاء.. فهـو صغيرهـا المدلـل.

●●●

حي باب اللوق

بقدر المشقة في عمل شحتة الراوي بمطعم الشامي.. إلا أنه قد اعتاد العمل بل و أتقنه.. ذلك على الرغم من أن فرص الراحة أثناء اليوم قد تكون معدومة.. فالعمل يبدأ منذ لحظات الفجر الأولى.. عندما ينطلق صفير القطار عند الفجر.. ليعلن وصول أول قطار إلى محطة باب اللوق.. ويستمر العمل إلى أن ينطلق مرة أخرى صفير القطار عند منتصف الليل ليعلن مغادرة آخر قطار من محطة باب اللوق متجهًا إلى حلوان.. كانت تلك هي مواعيد عمل شحتة الراوي بالمطعم.. كساعة تدق أجراسها.. لم يكن شحتة الراوي يشعر بالتعب والإجهاد البدني بقدر ما يثقل عقله التفكير في مستقبل أولاده.. فابنتيه ورد و رقية شابتان الآن في عمر الزهور وولده عبادة ما زال صغيرًا في سنواته العشر الأولى.. شحتة الراوي يخشى المستقبل.. يخاف من القدر الذي طالما لم ينصفه.. يفاجئه أحيانًا كثيرة بمآسي لم يتوقعها.. ففي ماضي ليس ببعيد فقد زوجته وشريكة دربه شوقية.. أصبح وحيدًا يواجه الحياة.. نعم هو الرجل.. لكن زوجته شوقية كانت دائمًا معه جنبًا إلى جنب.. أم وأخت وصديقة وزوجة.. كانت شيئًا كبيرًا في حياته.. هي الزاد والمأوى هي الصدر الذي

يحتضنه وينسيه قسوة الأيام.. أصبح شحتة الراوي وحيدًا بعد فراق زوجته.. و مسئولاً عن ولدٍ صغيرٍ وابنتين .. تتساقط دموعه أحيانًا كثيرةً في يقظته وفي منامه.. على الرغم من كونه فلاح بسيط.. إلا أن مشاعره دائمًا ما تفيض بالكثير من الشجن على رفيقة دربه شوقية.. ودائمًا ما كان يردد جملته المعتادة «وحشتيني يا شوقية وحشتيني يا أم العيال».

لا يسع شحتة الراوي هذا الرجل البسيط وهو مؤمن بما قدره الله له إلا أن يرفع يديه إلى السماء داعيًا الله أن يرحم زوجته و أن يستر على بناته ورد ورقية وأن يطمئن عليهما في بيوتهما ويوفق ابنه عبادة ليشب ويكبر ويكون سندًا و اليد الحانية والقلب الكبير لأخواته البنات.. كان يخشى ألا يحقق ما يتمناه وألا يمهله القدر حتى يصل إلى غاية أمنياته المتواضعة.. فالغيب لا يعلمه إلا الله.

كعادته يوم الخميس.. ينهي شحتة الراوي عمله مبكرًا بعض الشيء.. فالعمل في هذا اليوم قليلاً نسبيًا خاصة في المساء.. ليجلس بمقهى «قصر البشوات» أمام مطعم الشامي مباشرةً.. هو المقهى الوحيد في الشارع ويلاصق سنترال باب اللوق القابع على ناصية شارع منصور مع شارع محمد محمود.. من يراه يعلم يقينًا أنّ اسم المقهى «قصر البشوات» بعيدًا كل البعد عن حقيقة المكان.. فالمقهى لاتتعدي مساحته بضعة أمتار.. يتكدس به عدد

من المقاعد الخشبية القديمة المتراصة جنبًا إلى جنب وبعض الطاولات الحديدية المتهالكة.. أصبح اسم المقهى «قصر البشوات» مجال سخرية دائمة لبعض مرتادية.. تتعالى الضحكات طيلة الليل مع عامل المقهى عطوة المشهور ب « كنكة».. إلا أن المقهى كان شيئًا مهمًا في هذا الحي.. فهو يكاد يكون المتنفس الوحيد لكثير من عمال حي باب اللوق بعد يوم عمل طويل.. يتبادلون فيه أطراف الحديث.. يستمعون إلى قصص ونوادر الشيخ أحمد الصعيدي.. و أغاني الست أم كلثوم من هذا الراديو العتيق الذي يضعه « كنكة» أعلى نصبة الشاي ويكسوة بكثير من الأغطية والمفارش المزركشة.. فهو يكاد يكون أثر منذ أن بدأ المقهى في العمل بداية الخمسينات.

لم يمكث شحتة الراوي على طاولته بالمقهى وقتًا طويلاً ينتظر حفل الست أم كلثوم وهو يرتشف كوب الشاي.. فها هو الشيخ الضرير.. الشيخ أحمد الصعيدي يضرب بعصاه الأرض في تناغم شديد.. إنها عينه التي يرى بها.. فصوت العصا عندما تلامس الأرض تخبره إلى الطريق الصحيح.. متجنبًا أي عائق أمامه.. فهذا الشيخ يمشي مسرعا بشكل ملحوظ.. لقد تمرث على تلك العصا منذ أن فقد بصرة وهو في سن العاشرة.. لا أحد يدري من أين جاء إلى هذا الحي.. أين أهله وذويه..؟ كان دائمًا يجيب على تلك التساؤلات بضحكاته المعتادة:

- ربنا يا أخي إللي جبني هنا.. ابن حوا وآدم.. أيوه الشيخ أحمد الصعيدي.. ابن ابونا آدم.. وأمنا حوا.

يضحك الشيخ أحمد الصعيدي ويضحك جميع مرتادي المقهى على كلماته تلك.. كان شيخ تستمتع بقراءته للقرأن.. أعطاه الله حلاوة في صوته عند تلاوة آيات القران الكريم.. كان دائمًا ما يتلو القرآن الكريم في قطار باب اللوق ذهابًا وإيابًا.. لديه دخل يومي يقدر بعشرات الجنيهات.. يتلقى مساعدة من بعض ركاب القطار.. كان المورد الدائم للعملات الصغيرة «الفكة» لمطعم الحاج إبراهيم الشامي وكثير من محلات شارع منصور.

ضرب العصا على رصيف المقهى وقال الشيخ أحمد الصعيدي:

- السلام عليكم أيها الجالسون فوق التراب.

رد الجميع من في المقهى وعليكم السلام يا شيخ أحمد.

كان الجميع يترقب حضور الشيخ أحمد الصعيدي.. فمن وقت لآخر كان يجلس على المقهى ليحكي بعض الحكايات والنوادر.. والكل يستمع إليه.. من باب التسلية.. لكن كانت دائمًا حكاياته الشعبية بها الكثير من الحكمة والعظة.

ميز الشيخ أحمد الصعيدي صوت شحتة الراوي.. وقال:

- إزيك يا شحتة يا راوي.

بدت على وجه شحتة علامات الاستغراب والتعجب.. تساءل كيف عرف بوجوده.. لقد قابله مرة واحدة فقط..!:

- سبحان الله ده عرف صوتي من وسط الناس دي كلها إزاي..! باين عليه شيخ مبروك.

رد الشيخ أحمد الصعيدي على شحتة ووجهه يعلوه إبتسامة ساخرة وهو يهز رأسه:

- يا شحتة يا راوي أنا لست شيخًا مبروكًا يا أخي.. لا تتعجب فالله يعطي العلم لمن يشاء.

زاد شحتة من تعجبه وزادت تساؤلاته.

- كيف قرأ الشيخ أحمد الصعيدي ما يحدث به نفسه..؟!

قال شحتة الراوي للشيخ أحمد:

- اجلس اجلس يا شيخ أحمد يا راجل يا طيب.

جلس الشيخ أحمد الصعيدي الليلة على طاولة شحتة الراوي وتبادلا أطراف الحديث وقال الشيخ أحمد الصعيدي:

- متستغربش قوي يا شحتة.. ربك بيعوض برده.. خد مننا النظر.. لكن الحمدلله ادانا العقل والفطنه.. إنت عارف إني بمشي بشوارع مصر كلها زي أي واحد فيكم ويمكن أحسن منكم كمان.. حفظها حته حته.. أيوة يا خويا يا شحتة.. حفظها صم.. حفرة حفرة وبلاعة بلاعة.

قال الشيخ أحمد الصعيدي وهو ينادي على جميع من بالقهوة:

- اسمعو يا أخونا.. هحكي لكم حكاية جميلة قوى الليلة.. آه والله حكاية جميلة.. حكاية الواد حمدان ونعيمة بنت العمدة حسان... يلا قرب يا واد إنت وهو.. سمعني الصلاة على حبيبك المصطفى.

رد جميع من في المقهى:

- عليه الصلاة والسلام.. قول يا شيخ أحمد.

قال الشيخ أحمد الصعيدي:

- كان ياما كان في واد اسمه حمدان والفقر ضارب في جذوره تمام.. زاده يا دوب حتة جبنة قديمة ورغفين.. ميملكش من الدنيا حاجة غير هدمه وحصيرة وقُلة ميه مأطوشة «قُلة قناوي بها كسر بالرقبة».. وعايش في دار قديمة مهجورة.. عايش فيها من سنين

.. لكن تشاء الأقدار أن قلبه يتعلق بالبت نعيمة.. بت زي لهطة القشطة.. حسب ونسب.. ماهي بنت العمدة حسان.. كانت تحل من على حبل المشنقة يا ولاد.. زي ما بيقولو في الامثال.. المهم الواد حمدان حبها ووقع في غرمها.. أمله ضعيف يا عيني ماهو واد غلبان.. يسهر الليل بطوله يدعي أن ربنا يديله.. عشان يتقدم ويخطب البت نعيمة.. قعد كاتم حبها في قلبه سنين طوال.. ويفكر ويقول طب إزاي.. حمدان الكحيان و نعيمة بنت العمدة حسان.. منبوش من حبها.. إلا السهر والحيرة.. والفكر ليالي طوال.. بقت تيجي له يوماتي في المنام.. ما الحب يا ولاد بيشعلل في القلب نار.. البت نعيمة اتقدم لها عرسان كتار.. وكل ما تيجي تتجوز.. تتفركش الجوازة.. ويتقلب الفرح.. لعركة تقوم.. لنار تشعلل.. لطلقة طيشة تصيب.. المهم البت مكنش بتم لها جوازة.. أبوها راح ولف بيها بلاد كثير.. راح لعرافين ياما.. ودي شيخه عوزة عرف ديك أحمر.. وده شيخ عاوز رجل غراب أخضر.. وعلى ده الحال قعدت البت نعيمة سنين طوال.. لا عرفو دائها ولا عرفو دواها.. لحد ما زرها راجل مبروك اسمه الشيخ شعلان.. قرأ إلي مكتوب على جبنها ومرسوم بين عيونها.. قال لابوها.. بنتك مش هيجي لها عرسان.. لكن بنتك في يوم من الأيام هي إللي هتشاور وتختار.. استغرب العمدة حسان وقال للشيخ شعلان.. وضح كمان.. قال الشيخ شعلان.. بنتك هتتصاب وهيدويها راجل

غلبان.. لكن بيحبها وهيصونها.. جوزها له قوام.. هو ده رجلها.. ده نصيبها إللي إتاخر سنين طوال.. إنت كنت بتطلب حسب ونسب وجاه وسلطان.. لكن نصيبها في راجل فقير عدمان.. ربنا بيختبرك يا حسان.. أوعاك من الطمع.. وأوعاك تعارض إللي مكتوب.. ده المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين .. وفي يوم الغفير سايق الكرتة (عربة خشبية يجرها حصان تنتشر في بعض القرى) وركبة وراه البت نعيمة بنت العمدة حسان.. مشيين على الزراعية.. اتقلبت بيهم الكرته قدام الدار القديمة المهجورة إللي عايش فيها الواد حمدان.. وقعت نعيمة على الأرض.. جرحها بينزف عمال على بطال.. جري عليها الواد حمدان وجاب حتة قماشة وكتم لها الجرح قوام.. وقعدت نعيمة على المسطبة قدام الدار.. وبعت الواد حمدان، الغفير دنداري للوحدة يجيب التمرجي سعفان.. طبب جرحها حمدان.. وجلس قدمها.. يملي عيونه من جمالها.. وفي التو واللحظة جه العمدة حسان.. شاف نعيمة بنته قعدة على المسطبة.. إللي قدام الدار إللي قاعد فيها الواد حمدان.. جه في باله قوام.. كلام الراجل المبروك إللي اسمه الشيخ شعلان.. اطمن العمدة حسان على بنته قوام.. وقال مين اللي طببك يا نعيمة يا بنتي قولي قوام .. قالت لأبوها الراجل ده الشهم الهمام.. رد الواد حمدان قوام وقال أيوه أنا إللي دويت جرحها يا عم العمدة حسان.. وطى العمدة ووشوش بنته نعيمة

وقال.. حمدان راجل جدع وشهم لكنه فقير عدمان.. قالت له نعيمة.. يابا الفقير ممكن يغتني لكن عمر الشهامة والجدعنه ما تشتريها بمال.. العمدة مكدبش خبر.. قال يا ولاد الحقوني بالمأذون أوام.. واتجوز الواد حمدان العدمان البت القشطة نعيمة بنت العمدة حسان.. وعاشو في تبات ونبات وخلفو صبيان وبنات.. وتوته توته خلصت الحدوته.

- إيه رأيك إنت وهو يا جدع.. شوفت النصيب وأما ربنا بيريد.. يتجوز العدمان من بنت العمدة حسان.

- هات قرش يا واد إنت وهو.. أدعي لك دعوة تمام.. يجوزك زي الواد حمدان.. ولو قرشين هدعي لك دعوتين دعوة ربنا يخليك ودعوة تانية ينصرك على حماتك.. وربنا ما يوريك.. ها.. ها.. ها.

خرج الشيخ أحمد الصعيدي من المقهى مسرعًا كعادته يضرب بعصاه الأرض.. والجميع يضحك.. لقد استأنس الجميع بحكاوي الشيخ أحمد الصعيدي وبخفة ظله.

اليوم تختم إذاعة أم كلثوم كعادتها بأغنية من حفلات الإذاعة المصرية للست أم كلثوم.. والمقهى يعج بالزبائن و طاولة شحتة الراوي الليلة عامرة بالأصدقاء وأهل المنطقة.. فها هو أبويوسف

الفكاني وولده حسام صاحب الفرش أمام مطعم إبراهيم الشامي .. وعبدالرحمن عامل مصنع الثلج.. والمقدس كريلس الجزار بسوق باب اللوق.

صوت الست أم كلثوم يشدو من آثير الإذاعة من راديو المقهى.. لتتلاقى معها الأفئدة:

هو صحيح الهوى غلاب معرفش أنا

والهجر قالوا مرار وعذاب واليوم بسنه

جانى الهوى من غير مواعيد

وكل مادا حلاوته تزيد

محسبش يوم هياخذنى بعيد

يملى قلبي بالأفراح

وارجع وقلبى كله جراح

إزاى يا ترى

أهو ده اللى جرى

وأنا ما عرفش

كانت هي ليلة من أروع ليالي الست.. لقد أنهت الآن وصلتها الغنائية.. وإذا بصفير القطار ينطلق من محطة باب اللوق.. كأنه كان ينصت هو أيضًا لصوت الست أم كلثوم.. ينتظر انتهاء الحفل .. ليعلن هو الآخر انتهاء اليوم.. وإذًا بأمين الشرطة زكريا بلديات الحاج إبراهيم الشامي وإمام الزاوية يأتي إلى المقهى:

- السلام عليكم.. إيه الحكاية الكل سهران الليلة يعني.. متسهروش كده عشان متكسلوش عن صلاة الفجر.

رد الجميع السلام وقال شحتة:

- صحيح يا أمين زكريا أدينا قايمين أهو.. أصل الست النهاردة كانت مبدعة على الآخر.. نشوفك بقى في صلاة الفجر إن شاء الله.

قال الأمين زكريا:

- أنا هريح ساعتين كده وأقوم أتوضى وأصلى ركعتين.. وتسمعوني بقى في تواشيح الفجر إن شاء الله.

قال الجميع:

- ربنا يبارك لك.

قال شحتة الراوي:

- بجد صوتك جميل يا زكريا يا ابني.. الله.. ولا الشيخ النقشبندي في زمانه.

رد الأمين زكريا وهو مبتسمًا كعادته:

- النقشبندي مرة واحدة يا عم شحتة.

ضحك الجميع وهموا أن يغادروا المقهى حتى جاء على عجل من أمره الصبي «كنكة» بوجهه العابث وبأعلى صوته:

- الحساب يا خونا.. هنشطب.

رد شحتة وهو يضحك:

- أهو انت كده يا واد يا «كنكة» على طول تقفلنا منك.. بقى إحنا يا راجل طول الليل نسمع حكاوي الشيخ أحمد و طرب الست أم كلثوم .. ونختم بصوتك إنت يا كنكة.. ها.. ها.. ها.. يلا تعال خد الحساب عشان تشطب.. تصبح على خير يا «كنكة».

●●●

هل يطرق الحب باب الفقراء...؟

اشتد عود أبناء شحتة الرواي.. وها هي ورد ابنته الكبرى قد قاربت سن السابعة عشر.. هذه الفتاة الريفية.. التي حضرت إلى القاهرة متشبثة بجلباب والدها شحتة الراوي.. لم تكن سوى طفلة صغيرة تتبع خطواته.. لكنها كانت تحمل إرث وأصالة أهل القرية.. أصالة الريف.. الجدعنة.. الشهامة.. خفة الدم.. الصبر.. إنها ورد بنت البلد المصرية.. ترى إشراقة الصبح في وجهها.. و الأمل في عيونها.. وترى الفرحة بكل معانيها في ابتسامتها التي لا تفارقها.. وضفائر شعرها الأحمر كخيوط غزلت من شمس الصباح.. تعرفها من بعيد برشاقتها بتناغم خطواتها بنظراتها المخملية.

بضع أسابيع قليلة وتنهي ورد دراستها بالصف الثاني الثانوي.. على الرغم من مساعدتها لوالدها في أعمال المطعم.. والمسئولية الملقاة على عاتقها في تربية ومتابعة أخواتها كونها الأخت الكبرى.. كانت ورد حريصة كل الحرص على دراستها واستذكارها لدروسها مما جعلها من بين المتميزين دراسيًا.. تحظى بكثير من الثناء من مدرسيها لحسن خلقها و تفوقها في ظل ظروفها المعيشية المتواضعة.. الأمر الذي صابرت عليه ورد ولم تجعله يومًا يؤثر سلبًا على استمرارها بل وتفوقها الدراسي.

توجهت اليوم ورد كعادتها كل صباح إلى مدرستها، مصطحبه معها أخوها الأصغر عبادة وأختها رقية.. ترافقهم إلى مدرستهم على مشارف حي عابدين.. ومن ثم تذهب إلى مدرستها في شارع البستان بحي باب اللوق.. تستيقظ ورد كعادتها مبكرًا قبل آذان الفجر.. لكنها اليوم استيقظت على صوت عصفور يغرد.. يقف على نافذة غرفتها يضرب بمنقاره الصغير زجاج النافذة.. لم تراه ورد من قبل.. أنه زائر جديد.. فتحت له النافذة.. تأمل ورد كثيرًا كأنه يعرفها.. هز رأسة يمينًا ويسارًا.. كأنه يريد أن يحادثها.. استغربت ورد كثيرًا.. فهي تشاهده للوهلة الأولى ولم يطرق نافذة غرفتها من قبل.. ذهبت ورد وأحضرت للعصفور بعضًا من حبات القمح وقليل من الماء.. إلتقط العصفور بعض حبات القمح من يد ورد.. أخذت تداعبه وتمسح بيدها على رأسه.. لم يخشاها العصفور وهي تداعبه وتمسح على رأسه.. زقزق العصفور كأنه يشكرها على حبات القمح.. على لطفها وودها معه.. طار بعيدًا.. ودعته ورد بإبتسامه و لوحت له بيديها.. وماهي إلا بضع لحظات حتى بدأ صوت الأمين زكريا يعطر المكان بصوته الجهور وينشد أروع الكلمات في مدح الرسول «عليه أفضل الصلاة والسلام».. أيقظت ورد والدها شحتة الراوي ليتوضأ لصلاة الفجر.. لتبدأ ورد في إعداد الإفطار لأخواتها وترتيب حقائبهم المدرسية وتضع بها بعض السندوتشات، فاليوم الدراسي يوم طويل.

كان ذلك اليوم يشبه كثيرًا الأيام الماضية.. حتى لاحظت ورد نظرات تتبعها من بعيد.. تتابع خطواتها على إستحياء.. أنه حسام ابن أبو يوسف.. نعم هو حسام.. !

منذ عدة أيام كان حسام ابن أبو يوسف بائع الفاكهة.. يتابع ورد بنظراته من بعيد.. نظرات لم تلاحظها ورد في أول الأمر.. فـ ورد تعرف حسام منذ سنوات.. هذا الشاب المكافح.. هو الولد الثاني للحاج أبو يوسف بائع الفاكهة.. يساند والده ويساعده منذ أن توفى أخيه الأكبر يوسف.. أقفاص الفاكهة الخاصة بهم تحتل جزءًا كبيرًا من الرصيف أمام مطعم الحاج إبراهيم الشامي ومظلتهم «الشمسية» تناطح أكبر يافطة في شارع منصور.. كتب عليها محلات أولاد أبو يوسف لبيع الفاكهة.. تلك المحلات ما هي إلا جزء من رصيف الشارع و المظلة وبعض الأقفاص ومقعد يجلس عليه أبويوسف ممسكًا بالأرجيلة «الشيشة» صباح مساء.. وحجر اسمنتي نزع من الرصيف يضع عليه ميزان قديم وبعض المكاييل الصغيرة.

الحاج إبراهيم الشامي يعطف عليهم كثيرًا.. فـ أبويوسف وولده حسام يستخدمون مرافق المطعم دون مقابل على غير عادة بائعي المنطقة مع محلات يفترشون أمامها.. عادة ما يستأجرون البائعين الرصيف من المحلات مقابل مبلغ مقطوع شهريًّا وبعضهم

يدفعون جزء من الكهرباء والماء.. هذا هو العرف السائد بالحي.. كون شارع منصور مكتظ بالمارة والزبائن.. فمحطة قطار باب اللوق محطة رئيسية «نهاية خط حلوان» والمنطقة تعج بموظفي الوزارات والهيئات الحكومية من السيدة زينب وسعد زغلول وشارع القصر العيني ومجمع التحرير.. لكن الحاج إبراهيم الشامي يختلف كثيرًا.. فهو يمد أبو يوسف بالكهرباء والمياه التي يحتاجها طيلة اليوم دون مقابل.. فالحاج إبراهيم الشامي رجل كريم بطبعة.

حسام.. في الصباح يترجل خلف ورد.. ينتظرها عند مكتب بريد باب اللوق بشارع التحرير أثناء توجهها إلى مدرستها بعد توصيل أخواتها عبادة ورقية كل إلى مدرسته.. حسام يريد أن يبوح لورد بما يشعر به.. نعم نبت الحب بقلبه.. ينمو ويزدهر.. حب لا يستطيع كتمانه.. يحتاج إلى من يرويه.. إلى حبها إلى كلماتها إلى نظراتها.. فهي أمامه ولكن لايستطيع البوح بما في قلبه لها.. خوفًا من أن ترفض ورد هذا الحب.. وهي في عرف الحي .. جارته.. بنت منطقته.. نعم هو شاب صغير يساعد والده في بيع الفاكهة على رصيف شارع منصور.. لكنه أيضًا يواظب على دراسته بالمدرسة الثانوية في فترة الظهيرة.

يوم تلو الآخر.. والصمت ما زال يعترى وجه حسام.. فقط جوارحه ونظراته تبوح بما لا يقوى لسانه على البوح به.. لكن

الحب يولد شِئنا ام أبينا.. نعم بدأت ورد تلاحظ تكرار وقوف حسام أمام مكتب بريد باب اللوق يترقب وصولها من بعيد.. وعندما تقترب ورد.. يدير ظهره.. لا يريد أن تراه ورد.. هو فقط يريد أن يراها يروى حبه ببعض نظرات خاطفه.. نعم قد لاتكفي ظمأ الحبيب.. لكنها تبقيه على حافة الحياة.

قرر حسام أخيرًا أن يبوح بما في قلبه ومشاعره تجاه ورد.. اليوم وبعد أيام عديدة في تردد.. اقترب حسام من مكتب بريد باب اللوق.. وعلى غير عادته كل صباح لم يدير ظهره لورد هذا اليوم.. بل وقف صامدًا في انتظار أن تقترب ورد منه أكثر فأكثر وهي في طريقها إلى المدرسة.

قال حسام ودقات قلبه تتسارع وفي تلعثم شديد:

- صباح الخير يا أنسه ورد.

ردت ورد وهي تنظر إلى حسام:

- صباح الخير يا حسام.. إيه خير عندك حاجة النهارده في مكتب البريد ولا إيه..؟

وقفا سويًا وجها لوجه.. لم يسبق لحسام ان رأى ورد عن قرب هكذا.. وجهها.. عيونها.. شفتاها.. ضفائر شعرها الأحمر.. وجه لم يراه من قبل.. نعم قد كان يحلم بها.. وهي تحدثه.. وهي

تتقرب إليه.. لكنه أبدًا لم يرَ ملامح وجهها المشرق من قبل.. على الرغم من أنه يجلس على بعد عدة أمتار قليلة منها.

لم يُجب حسام على سؤال ورد.. فهو لم يسمع ما قالته.. فقط وقف ينظر إليها.. يدقق في عينيها.. يطالع حركة شفتيها.. يحدق في وجهها.. كأنه لم يرَ وجه فتاة من قبل.. لعل ورد تقرأ ما بداخله.. بما يشعر به.. بحبه الجارف.. وعشقه الثائر.. فالحب وإن توارى بعض الوقت فلن يتوارى طول العمر.

أعادت ورد السؤال على حسام مرة تلو الأخرى وقالت:

- حسام هووو إنت رحت فين.. بسألك عندك حاجة النهاردة في مكتب بريد باب اللوق.. ؟

استيقظ حسام من غفوته.. رد سريعًا على سؤال ورد وقال:

- أيوه.. أيوه صحيح عندي مشوار كده ولقيتك معدية قلت أصبح عليكي.

شعرت ورد بما يخفيه حسام.. لكنها لم تدرك صدق حبه لها وتعلقه بها.. اعتقدت ورد أنه مجرد إعجاب عابر.. كأي شاب في عمر حسام.. يحاول أن يلفت نظر فتاة.. وخاصة أنها بنت الحي الذي يعيش فيه.. لم يدوم اللقاء طويلاً.. فقط دقائق معدودة.

إستأذنت ورد:

- طيب يا حسام أنا همشي عشان موعد المدرسة.. سعيدة إني شفتك النهارده.

رد حسام:

- طيب يا أنسه ورد.. عطلتك معلش.. لكني سعيد إني شفتك.. مع السلامة.

كان هذا اللقاء القصير على الرغم من كلماته القليلة ونظراته المتأملة الرقيقة .. إلا أنه انتصار لحسام.. أخيرًا بدأ يتكلم مع حبيبته ورد.. فكت عقدة لسانه.. اليوم استوقفها.. كلمها.. رأى وجهها الطفولي البريئ.. عيناها الزرقاوتين كسماء صافية.. ووجنتيها موردتين كزهور ربيع تتفتح على أعتاب الفجر.. وشفاه تنطق بحلو الكلام وأعزبه.. وطابع الحسن «حبة الخال» على الشفاه يزيدها حسنًا وبهاءً.. وضفائرها الحمراء المجدولة تضاهي شمس النهار.

لم يكن ذلك إلا أول لقاء يجمع بين حسام وورد.. لقد الهب هذا اللقاء قلب حسام أكثر فأكثر.. لم يكن يدري أن لقاء ورد سيزيده اشتياقًا.. ويأجج نار الحب في قلبه ويزيدها اشتعالاً.

عادت ورد آخر النهار مع أخواتها عبادة ورقية إلى غرفتهم فوق سطح المطعم بعد يوم دراسي طويل.. أبدلت ملابسها.. ونزلت إلى المطعم لتساعد والدها كعادتها كل يوم بعد عودتها من المدرسة.. جلست على مقعدها الصغير وأخذت السكين لتبدأ في تقطيع بعض حبات البطاطس... راحت تفكر.. حسام بدأ يتابع خطواتها.. من عدة أيام يقف أمام مكتب بريد باب اللوق ينظر إليها ثم يدير ظهره.. واليوم استوقفها.. كلمها.. كان متردد بعض الشيء.. كان يخفي شيئًا ما.. بدأت ورد تطرح الأسئلة:

- هل فعلا هو مجرد أعجاب.. ؟!

- طريقة كلام حسام ونظراته مختلفة لن أشاهدها من قبل..؟!

- ممكن أن تكون غير ذلك..؟! ممكن تكون حب.. ؟!

- معقول..؟!

لم يقطع تسلسل تفكير ورد وتساؤلاتها.. إلا صوت والدها شحتة الراوي وهو ينادي:

- يا ورد.. ياورد يا بنتي انتي مش سمعاني.. سرحانه ولا إيه.. كفاية كده يا بنتي تقطيع بطاطس ده يكفي حي باب اللوق كله مش مطعم عمك الحج.

بدأت ورد تنتبه لصوت والدها وعادت لتنظر إلى ما بيديها والكم الهائل من حبات البطاطس التي قامت بتقطيعها.

قالت ورد:

- أيوه يابا.. لا خلاص هو كده كفاية صح.. أقوم بقى أقطع شوية بتنجان.

رد شحتة الراوي:

- أيوه يا بنتي بس متكتريش مش عوزين الحاجة بزيادة.

إنها المرة الأولى الذي يشّغل عقل ورد هذا التفكير العميق بشخص ما.. فكل اهتمامها كان منصب إلى دراستها وعملها مع والدها ورعاية أخواتها.. لم تفكر ورد يومًا ما في أي شخص ولم يدور في ذهنها مثل هذه التساؤلات من قبل.. ولماذا حسام..؟! فدائمًا ما تصادف بعض الشباب وهي بطريقها يسّمعوها الكثير من عبارات الغزل.. لم يلفت نظرها أي شاب منهم.. لكن حسام شعرت به من أول لقاء.. وبكلماته الصادقة.

لم يكن لقاء ورد وحسام في ذلك اليوم مصادفة.. ورد تعلم جيدًا هذا الأمر على الرغم من أن حسام كان يحاول أن يُفهم ورد أن اللقاء كان محض صدفة لا أكثر.. في اليوم التالي وقف حسام بالقرب من سور مدرسة عبادة ورقية.. ينتظر ورد أن

تأتي بأخواتها إلى المدرسة.. يريد أن يقابلها.. الآن الساعة السابعة صباحًا.. حضرت ورد ومعها اخواتها.. أوصلتهما حتى باب المدرسة.. ودعتهما كعادتها لحين عودتها لهم مرة أخرى عند انتهاء اليوم الدراسي لتصحبهم إلى البيت.

ترجلت ورد مسرعة حتى تلحق بمدرستها.. فيجب ألا تتأخر عن الساعة السابعة والنصف.. حسام يترجل خلفها و يلحق بها.. لقد فاجأها هذا اليوم.. فعادته أن يقف أمام مكتب بريد باب اللوق كل صباح لا أن يأتي بالقرب من مدرسة عبادة ورقية بحي عابدين.

وقال حسام بصوت هامس:

- صباح الخير يا ورد.

إلتفتت ورد إلى الصوت وقالت:

- صباح الخير يا حسام.. إيه الحكاية مشوار تاني النهارده كمان ولا إيه.. ؟!

ابتسما.. ترجلا سويًّا.. بدأ الحديث شيئًا فشيئًا.. كل منهما يعبّر عن سعادته لهذا اللقاء.. كان الحديث عامًا بعض الشيء عن أحوال حسام ودراسة ومساعدته لوالده أبويوسف في الصباح وعن دراسة ورد ومستقبلها وطموحها ومساعدتها لوالدها شحتة الراوي.. إنهما يتشابهان كثيرا.. كلاهما يدرس وكلاهما يعمل مع والده.. إنها رحلة كفاح منذ الصغر.

هـذا اليـوم أيضًـا كان اللقـاء بترتيـب مـن حسـام.. إرتاحـت ورد للحديـث مـع حسـام.. ومـا هـي إلا دقائـق معـدودة حتـى ظهـر مـن بعيـد بـاب مدرسـة ورد وبـدأت تـرى بعـض زميلاتهـا في طريقهـم إلـى المدرسـة.

قالت ورد:

- حسام سعيدة إني شفتك النهاردة كمان.

وقبل أن تكمل ورد كلامها.

رد حسام:

- ورد في كلام كثير حابب أقولهولك.

قاطعته ورد:

- حسـام أنـا قربـت مـن المدرسـة.. صعـب حـد يشـفنا في المكان ده.. معلش قـدَّر موقفـي.

قال حسام وهو يهز رأسه:

- صحيـح يـا ورد.. لحـد هنـا ولازم أمشـي.. لكـن أنـا كنـت عـاوز أقولـك.. عـاوز أقولـك.. لا لا خـلاص.. عشـان تلحقـي المدرسـة مـش هعطلـك.. لكـن يـا ريـت أشـوفك بكـرة.

ردت ورد بأبتسـامه ولـم تجـب.. لكـن الإجابـة كانـت صريحـة جليـة علـى وجههـا.. ترجلـت ورد مسـرعة حتـى تلحـق بمدرسـتها.. ومـا هـي إلا بضـع خطـوات.. حتـى نـادت عليهـا صديقاتهـا رنـا وحنين:

- صباح الخير يا ورد.. أخوكي ده يا ورد إللي بيوصلك ولا إيه..؟

ردت ورد على عجل وقد تفاجأت من أن صديقاتها رنا وحنين بجوارها.. وقد شاهدو حسام معها:

- لا أبدًا ده ابن عمي واتقابلنا بالصدفة مش أكثر.. أنتم إيه أخباركم عملين إيه يا يا بنات.

ردت رنا وهي تنظر في عين ورد وتبتسم ابتسامة تخفي وراءها أسئلة كثيرة:

- بقى ابن عمك برده يا ورد.. ماشي ماشي.. هنمشيها ابن عمك يا جميل.

ضحكت رنا وحنين ضحكة بها بعض من التهكم على كلمات ورد.. لكن ورد لم تعر أي إهتمام بالأمر.. فهو سؤال عابر لصديقاتها لا أكثر.

لم يفصح حسام تلك المرة أيضًا عن ما بقلبه تجاه ورد.. لكنه بدأ يدرك أن ورد شعرت بما يريد أن يحدثها به.. تردد حسام هذه المرة.. لكن قد يستطيع بالأيام القادمة أن يبوح بحقيقة حبه وعشقه لورد.

●●●

غرور المعلم طاهر

أصبح لقاء حسام وورد شبه يومي.. لم يكن فقط أمام مكتب بريد باب اللوق كعادتهما في صباح كل يوم دراسي.. بل كان لقائهما يوم الجمعة بعد صلاة العصر موعدًا مقدسًا.. فذلك اليوم هو للتنزه سويًّا بعيدًا عن حي باب اللوق.

حبًا عذريًا طاهرًا.. تعلقت ورد بحسام.. وازداد تعلق حسام بورد.. لقد اعترف لها بحبه وعشقه.. بادلته ورد نفس المشاعر.. فحسام شاب مكافح يقضي معظم الوقت في مساعدة والده إلا في وقت ذهابة إلى مدرسته في فترة ما بعد الظهيرة.. حسام رجل يعتمد عليه.. ارتبطت قلوبهما.. تواعدا ألا يفترقا.. تعاهدا أن يستمر حبهما إلى الأبد وأن يكلل بالزواج.. على حسام أن يتقدم لخطبة ورد بعد انتهاء اختبارات نهاية العام الدراسي الحالي.. هذا ما اتفقا عليه حسام وورد على الرغم من كونهما صغارًا وأمامهم عام كامل على انهاء المرحلة الثانوية.

اعتادت ورد الخروج كل يوم جمعة.. على إنها ذاهبه لصديقاتها رنا وحنين بوسط البلد لتستعير منهما بعض أوراق الدروس الخصوصية.. هذا ما أوضحته ورد لوالدها شحتة الراوي.. لكنها في الحقيقة كانت تلتقي بحبيبها حسام خارج حي باب اللوق.

المعلم طاهر كعادته يباشر عمله بالمطعم بعض أيام الأسبوع بالتناوب وبالإتفاق مع باقي أخواته.. كان يوم الجمعة من ضمن أيام تواجد المعلم طاهر بالمطعم.. كان دائمًا يوم الجمعة يوم عمل هادئ نسبيًا.. والتردد على المطعم قليل بعض الشيء في هذا اليوم عن باقي أيام الاسبوع.. فالمطعم معظم زبائنه من الموظفين والعاملين بالهيئات والوزارات بمنطقة باب اللوق والمناطق المجاورة.. ويوم الجمعة يوم عطلة رسمية.

تكرر خروج ورد هذه الجمعة أيضًا.. لكن تلك الجمعة كانت الجمعة الأخيرة من شهر شعبان.. وكعادة مطعم الشامي أن يتم تجهيز سرادق كبير «فراشة» أمام المطعم.. فشهر رمضان الفضيل على الأبواب.. ففرن كنافة وفرن قطايف الشامي له زبائنه كل عام.. والجميع بالمطعم من عمال بما في ذلك شحتة الراوي وأولاده في مثل هذا اليوم يقومون بالمساعدة والتجهيز لذلك.

خروج ورد في هذا اليوم على غير عادتها في السنوات السابقة.. لفت نظر المعلم طاهر.. هناك شيئ ما لدى ورد لم تخبر به أحدًا.. بالتأكيد ليست في زيارة عادية لزميلاتها بالمدرسة لتستعير بعض أوراق الدروس الخصوصية.. إذًا في الأمر شيء ما..؟!

أشار المعلم طاهر إلى أحد الصبيه بالمطعم.. وقال له:

- واد يا صابر.. تعالى.. تعالى هنا سيب إللي في ايدك.

رد الصبي صابر:

- حاضر يا معلم.. اؤومر.

وشوش المعلم طاهر في أذن صبيه صابر:

- خليك ورا ورد من بعيد كده.. أعرف لي هي ريحه على فين.. أوعى تشوفك يا واد يا صابر.

رد الصبي صابر:

- حاضر يا معلم.. فاهم.

صابر يتتبع خطوات ورد.. لقد قابلت هذا اليوم حسام في آخر شارع شريف بوسط البلد.. شاهدها الصبي صابر.. وحسام يمسك بيدها.. يطوفان شوارع وسط البلد.. وقف حسام وورد بعض الوقت أمام حلواني العبد.. اشترى أيس كريم له ولورد.. طال بينهم الحديث.. ترجلا سويًا من شارع لشارع حتى بدأت الشمس تغفو رويدًا رويدًا.. لم يشعر كلا المحبين بأن الساعات الحلوه تمضي سريعًا.. فيجب على ورد أن تعود إلى البيت قبل غروب الشمس.. لقد تأخرت اليوم كثيرًا.

ودعت ورد حسام على عجل وقالت له:

- مع السلامة يا حسام أنا اتاخرت قوى النهاردة.. لازم أرجع على البيت عشان محدش ياخد باله، أشوفك بكرة.. سلام.

أشار لها حسام بيدية.. وقال:

- مع السلامة يا ورد.. مع السلامة.

كان الصبي صابر يراقب من بعيد طيلة حديث ورد وحسام.. نعم لم يستمع إلى حوارهما.. لكنه أخبر المعلم طاهر بكل ما شاهده لحظة بلحظة.

لم يعرف المعلم طاهر يومًا معنى الحب.. الحب الطاهر بين شاب وفتاة.. الحب العذري المجرد من كل الشهوات.. أفئدة تتلاقى.. أرواح تمتزج.. فكل حياته كانت مغامرات غير محسوبة.. تعرف على نساء من كل الطبقات الاجتماعية.. كانت نظرته للنساء قاصرة على المتعة فحسب.. يرتمى في أحضان بعضهن ليلة واحدة.. ويعاشر أخريات ليالي عديدة .. كل ما يمتلكة من مال كان ينفقه على النساء.. وعلى الليالي الحمراء والخمر.

الصبي صابر.. كان أمينًا في سرد كل ما شاهده لحظة بلحظة.. والمعلم طاهر يهز رأسة وبصوت خافت يقول:

- آه.. آه... آه بقى كده يا ورد.. ماشي.. ماشي.

جلس المعلم طاهر يحدث نفسه ويفكر كثيرًا بأمر ورد.. أعتقد أن مقابلة ورد لحسام مجرد تسلية ليس إلا.. فتاة في سن المراهقة تواعد شاب على قارعة الطريق.. شيء من الممكن حدوثه.

أخذ تفكير المعلم طاهر ينصب في اتجاه واحد.. أن ورد فتاة من السهل إغرائها والتودد إليها.. هي مثل غيرها من الفتيات التي عرفهن.. تعشق بريق الذهب.. وتلهث وراء المال.

لم يُرضي غرور المعلم طاهر.. أن تكون هناك فتاة أمامه ولم تعجب به أو تعيره الاهتمام الكافي.. حتى ولو كانت تلك الفتاة الصغيرة ذات السبعة عشر عامًا.. ابنة عامل المطعم شحته الرواي.. إنه المعلم طاهر.. الشاب الغني.. الوسيم.. الابن المدلل للحاج إبراهيم الشامي.

بدأ المعلم طاهر في الحديث مع ورد مرة تلو الأخرى.. في بداية الأمر اعتقدت ورد أنه حديث عابر بين صاحب عمل يعمل والدها لديه وبين فتاة بسيطة.. لم تتوقع أبدا أنه يغازلها أو مجرد التفكير بها.

بدأ حديثة معها يتضمن بعض التلميحات.. عن جمالها.. خفتها.. وعن مدى قدرته على أن يؤمن لها المال الوفير و الملابس الجديدة.. أو بعض الحلي الذهبية إنْ إرادت.

لكن ورد ذات السابعة عشر عامًا.. أدركت مبكرًا خبث نوايا المعلم طاهر.. ورغبته في إظهار مدى قدرته على الإغداق عليها بالمال و الهدايا.. وهو أمر لم تتعودة منه.. فدائمًا ما كان رجلاً صلبًا جافًا في تعاملاته مع الآخرين.

رفضت ورد كل المغريات من المعلم طاهر.. فهي تعلم جيدًا ما يلمح إليه.. تكون له فتاة مثل غيرها ممن عرفهم المعلم طاهر.. لم ييأس المعلم طاهر من محاولاته المرة تلو الأخرى بأن يختلي بورد في مطبخ المطعم.. ويزيدها من حلو الكلام.. لكن ورد كانت تتفادى دائمًا هذه الامور بلباقة وحسن تدبر.. وترد عليه أحيانا بعبارات جافة.. لعله يفهم عدم استجابتها له.. وأنها فتاه مختلفة ليست مثل باقي الفتيات التي اعتاد المعلم طاهر أنْ يصاحبهن.. لم يزيد هذا الرفض من ورد إلا إصرارًا من جانب المعلم طاهر.. نعم لن يُرضي غروره أن ترفضه فتاة في سن ورد ولا في مثل وضعها الاجتماعي.. كانت كلمات ورد أحيانًا للمعلم طاهر قاسية.. كقذائف متفجرة في وجهه.. إلا أنها كانت تقع وتتناثر على حائط عناده وإصراره وتكبرة.

أتى رمضان.. تُزَّين حي باب اللوق وشارع منصور بمجسمات الفوانيس والمساجد المعلقة على طول الشارع متزينة بقصصات الورق الملونة الشفافة.. تتلألأ وسط أضواء المصابيح الملونة..

الشارع في الصباح هادئ نوعا ما إلا من بعض المارة.. الجميع في هدوء وسكينة.. ليس هذا ما اعتاد عليه هذا الشارع طيلة العام، من ضجيج الباعة والمارة على حد سواء.

لقد حان موعد آذان العصر.. عاد شارع منصور مرة أخرى إلى زحامة المعتاد.. فقد انصرف الموظفين من أعمالهم.. فالبعض يسعى إلى شراء بعض مستلزماته من سوق باب اللوق.. محلات الجزارة.. محلات بيع الدواجن.. بائعي الخضروات.. بائعي العصائر المثلجة والعرقسوس والتمر هندي.. البعض يقف مصطفا على كنافة وقطايف الحاج إبراهيم الشامي.. الشارع يمتلئ عن آخرة حتى موعد الإفطار.

صوت الآثير.. إذاعة القران الكريم من القاهرة:

- أيها الأخوة المؤمنون الآن نبقى مع قرآن المغرب.. القارئ الشيخ محمد رفعت في تلاوة مباركة من سورة هود وقصار السور.

إنه صوت الشيخ محمد رفعت يشدو من كل مكان.. أبواق الميكروفانات المعلقة بالمساجد.. أجهزة الراديو المنتشرة بالمحلات والمقاهي.. إنها لحظات عطرة.. عندها تبدأ الشمس في المغيب.. ويملأ جنبات الحي صوت تلاوة القرآن الكريم.. يضرب مدفع الإفطار.. يرفع آذان المغرب.. وكلمة الله أكبر تعطر المكان.. تعلن دخول وقت الأفطار.

العاملين بالمطعم والحاج إبراهيم الشامي وأولاده بالشارع.. يحملون التمر والعصائر.. يستوقفو كل من يعبر الشارع على قديمة أو بسيارته أو على دراجته.. الكل يسمي الله ويفطر في لحظة جميلة مهيبة.. إنه شهر كريم.. ضيف خفيف تتهادى القلوب عند قدومه.. وتشتاق له عندما يغادر ويترك ذكرى تلك الأيام الإيمانية العطرة لحين عودته عامًا تلو الآخر.

●●●

شتاء عاصف

منذ فترة طويلة لم يأتِ العصفور على نافذة ورد.. كانت تستبشر به.. فعندما زارها أول مرة ووقف على نافذة غرفتها يضرب بمنقاره الصغير زجاج النافذة.. كان ذلك اليوم أول يوم يدق فيه قلبها.. أول لقاء بحسام.. شعرت حينها بمشاعر حسام الصادقة واهتمامه بها.. لم تنسَ أبدأ هذا اليوم.. كأن العصفور كان يحدثها عن تعلق حسام بها.. بحب حسام لها.. كانت تنتظر ذلك العصفور بإشتياق كل صباح من وراء النافذة عليه يأتي.. فهو نذير خير.

أتى الشتاء مبكرًا.. لم يعتاد أهل القاهرة الأمطار في هذا الوقت من العام.. فما زال شهر نوفمبر في بداياته.. بدأ المطر يهطل بغزارة مع غروب شمس ذلك اليوم.. الشوارع تكاد تكون خالية.. الماء يغسل المكان.. استمرت الأمطار تهطل بغزارة.. لم يتبقَ على آذان العشاء سوى دقائق معدودة.. بدأ صوت نار مقلاة الفلافل «الطعمية» تهدأ.. تتباطي.. حتى انطفأت.. صوت جورن دق الفلافل «حجر الطعمية» يتوقف.. ماكينة عصير قصب سلامة تتهادى.. فقط صوت أبواب المحلات تسمع.. الدكاكين تطفي أنوارها.. نعم حتى صفير القطار خلد في نوم عميق تلك الليلة..

السيارات تصطف على جانبي الطريق.. عم مدبولي يسرع ويلملم جرائدة ومجلاته ليدخلها لكشكه الصغير.. لا أحد في الجوار.. الجميع يسارع إلى الإختباء تحت شرفات المباني.. بدأ عمال المطعم يدا بيد مع شحتة الراوي بتجميع المقاعد والطاولات والبدء في تنظيف المطعم.. أغلق المطعم اليوم مبكرًا.. ذهب العاملين كل إلى بيته واضعين على رؤوسهم أكياس من البلاستك ليحتمو بها من هذا المطر الغزير.

تأكد شحتة الراوي من عدم تسرب أي مياه داخل المطعم.. ثم أغلق المطعم ومكتب الحاج إبراهيم الشامي وأطفأ الأنوار.. صعد إلى غرفته.. فالليلة سيدخل إلى فراشه مبكرًا.

طرق شحتة الراوي باب الغرفة.. فتحت له ورد.. وعلى الفور هرول ولده عبادة وابنته رقية إلى والدهم ينهمرون عليه بمزيج من الأحضان والقبلات.. فهي من الليالي القليلة التي يرى شحته الراوي أولاده الصغار عبادة ورقية.. فدائما ما يأتي الأب متأخرًا كل ليلة ليجدهم في الفراش مبكرًا كعادتهم.

قالت ورد:

- إيه يابا قفلت المطعم بدري ليه النهاردة.. ميكنش عشان المطر.

رد شحتة الراوي وهو يهز رأسه وهو يتأهب أن يغير جلبابة ويعلقه على علاقة الملابس خلف الباب:

- أيوه يا ورد يا بنتي.. الجو قالب من المغربية والمطر شديد.. والزباين رجليها قلت الليلة.. قلنا مبدهاش بقى نقفل بدري.. عشان العمال كمان يلحقو يروحو بيوتهم.. انتي عارفه معظمهم من إمبابة والمشوار طويل.. على الله يلاقو بس مواصلات انتي عارفة في الجو ده الأتوبيسات والميكروباصات قليلة وزحمة قوي يا بنتي.

قالت ورد:

- أحضر لك حاجة تتعشى بيها يابا.

رد شحتة وهو يجلس على فراشه:

- لا يا ورد يا بنتي أنا هنام.. شدى عليا الغطا.. أهي ليلة الواحد يريح فيها بدري.. تصبحي على خير يا بنتي تصبحو على خير يا ولاد.

هب عبادة لينام بجوار والده.. أخذه شحتة في أحضانه.. وهمت رقية بجوار والدها لتنام هي الأخرى بجواره.. لم تجد متسعًا على الفراش.. وقفت قليلاً بجوار الفراش و يعتلي وجهها بعض الضيق.

قالت رقية:

- اشمعنى بقى يابا تاخد عبادة جنبك.. عوزة أنام جنبك يابا أنا كمان.

قال شحتة:

- تعالي يا رقية أنا وسعت لك أهو.. وأنا من إمتى يعنى بفرق بنكم يا بت يا رقية.. كلكم عيالي.. تعالي في حضني إنتي كمان.

جلست ورد تستذكر دروسها حتى منتصف الليل والمطر ما زال منهمر على الحي.. لا يسمع أي صوت في الجوار سوى صوت زخات المطر تضرب الأرض بكل عنفوان.

الساعة قاربت على الواحدة صباحًا.. بدأ صوت المطر يهدأ شيئًا فشيئًا.. حتى تلاشى.. لم يتبقَ منه سوى بعض قطرات ماء تتأرجح على الشرفات تتساقط على الأرض بتثاقل شديد.

فتحت ورد باب الغرفة ووضعت الشال على رأسها.. نزلت للاطمئنان على المطعم.. والتأكد من عدم تسرب أي أمطار بالداخل.. فالمطر اليوم كان شديدًا.. نعم كان هذا ما رأته وتعودت عليه من والدها.. فعادة شحتة الراوي أن ينزل للإطمئنان على المطعم بعد كل ليلة ممطرة.. إلا أن ورد تلك الليلة وجدت والدها

متعبًا بعض الشيء وذهب إلى الفراش مبكرًا.. لم تيقظه ورد.. بل ذهبت هي لتقوم بهذا الدور.. وبعدما تأكدت ورد بأن الأمطار لم تلحق بالمطعم أي أذى.. أطفأت الأنوار.. لكنها سمعت صوتًا.. أنه صوت قادم من مكتب الحاج إبراهيم الشامي.. أنارت مرة أخرى أنوار المطعم.. ظنت ورد في البداية أنه صوت قطرات ماء تتساقط على مكتب الحاج إبراهيم.. لكنها فوجئت بوجود شخص ما بالمكتب.. إنه المعلم طاهر.. ! أنه يترنح على غير عادته.. ظنت أنه متعب بعض الشيء.. لكنها لم تعر له أي اهتمام.. رجعت مسرعة لتصعد السلم إلى غرفتها.. فدائمًا ما تتجنب الحديث معه وخاصة أنها وحدها والوقت متأخر.. لكن المعلم طاهر لاحظ وجودها.. نادى عليها:

- ورد.. يا ورد.. هاتي لي كباية مايه قوام.

عادت وردت وتوجهت إلى الثلاجة وأحضرت كوب من الماء.. ظنت ورد أن البرد قد أصاب المعلم طاهر.. نعم هو ليس على حالته.. اعتقدت أنه مريض.. اقتربت منه أعطته كوب الماء.

- ما هذا.. إنها رائحة الخمر الكريهة تنبعث من فمه.. إنه مخمور.. ! نعم مخمور.

أمسك المعلم طاهر يد ورد.. حاولت ورد أن تفلت من قبضة يده.. جذبها بقوه.. حاول أن يحتضنها.. أن يقبلها.. هي ترفض.. لا تستسلم.. تحاول أن تهرب من بين يديه الغاصبتان.. أن تنجو بعيدًا عن براثم هذا الشيطان.. أفلتت ورد من بين يديه.. صفعته على وجهه.. هربت إلى غرفتها.. كانت كالريح تصعد درجات السلم.. أقفلت الغرفة جيدا.. وقفت خلف الباب خائفة.. جسدها النحيل يرتعش.. لم تستطع الوقوف.. لم تتمالك أعصابها.. جلست وراء الباب.. أطبقت يديها على ركبتيها ووضعت رأسها المثقل.. بدأت دموعها تنهمر .

لحظات قاسية على فتاة في عمر ورد.. لقد أنقذها الله من هذا الشيطان الذي لم يراعِ حرمة ولا عيبًا ولا دينًا ولا أخلاقًا .. إنها في حيرة من أمرها.. هل تخبر والدها بما حدث..؟! فيقطع عيشة بيده من المطعم.. فالمطعم بالنسبة لهم العمل والبيت والمأوى.. هو كل شيء.. والدها سيصدقها بكل تأكيد.. لكن ماذا سيفعل شحتة الراوي.. هل سيخبر الحاج إبراهيم الشامي.. وهل الحاج سيصدقه.. وهل يعقل أن المعلم طاهر سيراود فتاة مثل ورد.. أم تخبر حسام بما حدث.. حسام رجل صعيدي.. لا يمكن أن تتنبأ ورد بردة فعله مع المعلم طاهر.. وفي النهاية سوف يلاقي نفس مصير والدها.. سيطرد بلا أدنى شك من أمام المطعم.

بدأت ورد تأخذ أنفاسها في هدوء لتحاول التماسك قليلاً.. مسحت دموعها.. قامت إلى فراشها حاولت أن تنام.. استلقت على ظهرها لساعات تفكر.. حتى غالبها النعاس.. راحت في نوم عميق ليهدأ عقلها.. ويستريح جسدها.. فالأيام قد تكون كفيلة أن تنسيها هذا الموقف.. ليس عليها إخبار أحد.. ليبقى هذا الأمر طي الكتمان.

في صباح اليوم التالي.. كان كل شيء على طبيعته.. لم يشعر أحد بما دار ليلة أمس بين المعلم طاهر وورد.. ورد ما زال الألم يعتصر قلبها الصغير.. والغضب يشتعل في صدرها.. ما زالت صورة الأمس في ذاكرتها.. لم ولن تنسى مثل هذا الموقف وإن طال الزمان أو قصر.

المعلم طاهر لم يشفع لورد.. حين تجرأت عليه وصفعته.. لقد أهانته.. مست كبرياءه.. لم يفكر فيما كان سيرتكبه من حماقة مع ورد.. كل ما كان يدور بخاطره تلك الأصابع التي رُسمت على وجهه ليلة أمس.. كيف يرد لورد هذه الصفعة.. لم يهديه شيطان عقله.. إلا أن يذل ورد.. ينتقم منها على ما فعلته به.. وما أقصى من أن تُحرم من لقاء حبيبها.. نعم حسام.. لقد فضلته ورد عليه.. إنها تحب حسام وتكرهه هو.

اذًا لـن يجلـس حسـام بعـد اليـوم هـو ووالـده أمـام المطعـم.. نعـم عليهمـا الرحيـل.. ليعتصـر قلـب ورد.. لتبقـى وحيـده عاجـزة.. حينهـا ستستسـلم لا محالـة.. وسـتكون لـه فريسـة سـهلة.. سـتكون لـه وحـده.

●●●

مكيدة

أتى العصفور اليوم على نافذة ورد.. لم يكن فرحًا يزقزق كما جاء أول مرة.. وقف منكسرًا بعض الشيء تعلو ملامحه الحزن.. لم ينقر زجاج النافذة كما تعود.. لاحظت ورد وقوفه بالخارج.. أسرعت ورد وفتحت له.. حاولت أن تداعبه لكنه اليوم حزين.. أحضرت له بعض حبات القمح والماء.. لكنه لم يأكل من يديها كما كان.. قبلته وأحنت عليه كثيرًا.. لكن العصفور لم يزقزق كما كان.. طار العصفور بعيدًا.. ودعته ورد كعادتها.

كانت تتمنى أن يأتي العصفور لتحكي له.. كم تعلقت بحسام.. تحكي له عن قصة حبهما التي ولدت منذ أيام.. تحكي له عن فارس الأحلام التي طالما حلمت به.. وأخيرًا أتي على حصانه الأبيض ليأخذها بعيدًا بين السحاب.

لكن العصفور اليوم لم يمهلها لتحكي له.. أتى اليوم حزينًا وطار سريعًا.. أغلقت ورد نافذتها.. أخذت في تحضير الإفطار لأخواتها.. ترجلت على درجات السلم مسرعة هي وأخواتها.. فاليوم تأخرت عن موعد المدرسة.. لقد شغلها هذا العصفور.

الحاج إبراهيم الشامي غاضبًا.. صوته يهز أركان المطعم:

- شيل فرشتك يا أبويوسف إنت وابنك وامشو من هنا.. هو ده جزاء المعروف.. يلا مش عاوز أشوف حد فيكم.. قدمكم للمغرب.. صحيح «جزاء المعروف ضرب الكفوف».

كلمات كانت صادمة لأبويوسف وولده حسام.. كانت صادمة لكل من في المطعم.

الكل يتهامس:

- صحيح لقو الفلوس في فرش أبو يوسف.. ؟! معقول حسام يسرق.. ده ابننا ومتربي وسطينا.. ؟! معقول.. ؟!

تلك كانت تساؤلات ترتسم على وجه الجميع.. ذهول.. تعجب.. رفض لما يحدث.. حتى أولاد الحاج إبراهيم الشامي.. وجوههم متجهمة.. يقفون في ذهول.. صامتين.. عيونهم تتسأل:

- حسام.. معقول حسام يعمل كده...؟!

لقد ترك الحاج إبراهيم الشامي مبلغ أربعين ألف جنيهًا في درج مكتبه داخل المطعم.. أحضر المبلغ صباحًا من البنك.. أربعة رزم كل واحدة منهم عشرة ألاف جنية مطبوع عليها اسم البنك الأهلي فرع لازغولي.. لحين حضور أبناءه المعلم سليمان والمعلم محمود.. لشراء مستلزمات المطعم من الفول والزيت والخضروات..

لـم يهتـم الحـاج إبراهيـم الشـامي كثيـرًا بـأن يضـع المبلـغ في خزينـة مكتبـه.. ظنًـا منـه بـأن الأمـر لا يحتـاج إلـى فتـح الخزينـة وغلقهـا.. فالسـاعة قاربـت علـى الحاديـة عشـر صباحًـا.. وكعـادة المعلـم سـليمان والمعلـم محمـود أن يحضـرا للمطعـم في حـدود السـاعة الثانيـة عشـر عنـد صـلاة الظهـر.

جلس الحـاج إبراهيـم الشـامي بمكتبـه.. اتصـل تليفونيًّـا بزوجتـه الحاجـة أم سـليمان وقـال لهـا:

- الـو.. السـلام عليكـم يـا حاجـة.. عملـه ايـه.. انـا تـوي جـي مـن البنـك.. مـش عـوزة حاجـة يـا حاجـة أشـيعها لـك.

ردت الحاجة أم سليمان:

- لا.. شـكرًا يـا حـاج.. البيـت الحمـدلله مـش نقصـة حاجـة.. والخيـر كثيـر.. وأنـا لـو احتجـت أي حاجـة بكلـم شـحتة.. يشـيعها لـي مـع أي حـد مـن الصبيـان.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- طيـب يـا حاجـة.. أقـوم أنـا أسـتعد لصـلاة الظهـر.. السـلام عليكـم.

أغلـق الحـاج إبراهيـم الشـامي الهاتـف.. دخـل دورة الميـاه الملحقـة بالمكتـب ليتوضـأ.. اسـتعدادًا لصـلاة الظهـر.. ومـا هـي إلا دقائـق

معـدودة حتـى خـرج الحـاج إبراهيـم الشـامي ليجـد أولاده المعلـم سـليمان و المعلـم محمـود بالمكتـب.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- أهـلا يـا ولاد.. هـا جهزيـن لصـلاة الظهـر ولا هتقومـوا تتوضـو.

رد كل من المعلم سليمان والمعلم محمود:

- الحمدلله يا حاج احنا على وضوء.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- طيـب يـا ولاد نصلـي وبعديـن نرجـع.. أنـا جهزت لكـم الفلوس عشـان تشـترو الحاجات إللي نقصة بالمطعم.

رد المعلم محمود:

- طيـب يـا حـاج طالمـا هنجيـب حاجـات للمطعـم أنـا والمعلـم سـليمان.. ناخـد الفلـوس دلوقتـي ونلحـق نتحـرك قبـل الزحمـة.. ونصلـي الظهـر بأقـرب مسـجد.. بس عشـان نلحـق نخـرج مـن زحمـة بـاب اللـوق.

رد الحاج إبراهيم الشامي:

- طيب يا ولاد.. لو شيفين كده خلاص.

جلس الحاج إبراهيم على مقعده بالمكتب.. فتح الدرج.. مد يده ليخرج الفلوس.. لم يجد سوى ثلاث رزم فقط.. أخرجهم من الدرج ووضعهم فوق المكتب.. أخذ يبحث بيده في الدرج عن الرزمة الرابعة.. لم يجدها.. فتح باقي الأدراج على عجل.. لم يجد الرزمة الرابعة..!

سأل المعلم سليمان والمعلم محمود:

- في حاجة يا حاج.

رد الحاج إبراهيم ووجهة يملؤه الحيرة:

- أيوة يا ولاد الفلوس نقصة.. لسه حاطط الفلوس بإيدي بالدرج.. أربعين ألف جنية.. أربع رزم..!

سأل المعلم سليمان والمعلم محمود:

- يا حاج يمكن غلطان في العد ولا حاجة.. ولاحططهم في حته تاني وناسي.

رد الحاج إبراهيم الشامي:

- يا بني بقولك أنا لسه جي من البنك من شوية وساحب أربعين الف.. مفيش إلا ثلاثين ألف بس بالدرج أهو.. في رزمة عشرة ألاف نقصه.. هو أنا تايه عن الفلوس.

- نادي ليا على العمال.. ده مفيش حد غريب بيخش عندي المكتب أبدًا..!

قال المعلم سليمان بصوت عالي:

- يا سيد يا فلافل.. يا شحتة يا راوي.. يا واد يا عليش.. هاتو معاكم الصبيان وتعالو.. الكل يجي هنا عند عمك الحاج.

حضر سيد فلافل رئيس العمال وشحتة الرواي وعليش والصبي صابر وجميع من في المطعم .

قال سيد فلافل وهو يقف مصطفا مع جميع زملائه بالمطعم:

- نعم يا حاج كلنا موجودين أهو... اؤمر.

قال الحاج إبراهيم الشامي والغضب والحيرة تعتلي وجهه:

- مين فيكم دخل النهاردة المكتب عندي.

رد سيد فلافل:

- مفيش غيري يا حاج.. والواد صبيك صابر لما جاب لك شاي الاصطباحه وظبط لك الشيشة.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- يا سيد.. افتكر كويس مفيش حد دخل هنا المكتب غيركم.. أصل مش معقول..!

رد سيد فلافل في عجلة من امرة:

- لا يا حاج والله زي ما بقول لك كده.. أنا والواد صابر بس.. هو في إيه يا حاج.. كلنا خدمينك.. أؤمر.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- يا سيد.. أنا جيت النهاردة على المكتب على الساعة حداشر (الحادية عشر صباحًا) تقريبًا.. كنت بالبنك الصبح.. وجبت مبلغ وحطيته هنا بدرج المكتب.. قمت أتوضى.. رجعت لقيت المبلغ ناقص.. ومش خمسميه ولا ألف جنية.. لا ده المبلغ ناقص عشر ألاف جنيه.. رزمة بحالها بختم البنك عليها.. رزمة ميات يا سيد.

رد سيد فلافل:

- إنت عارف يا حاج احنا عشرة طويلة من سنين.. والناس هنا بالمطعم عمرهم ما بصو لقرش حرام.. أنا لو شاكك في حد يا حاج كنت قلت لك والله.. بس العمله دي ميعملهاش حد مننا أبدًا.

قال شحتة الراوي تصديقا لكلام سيد فلافل:

- والله يا حاج ما شفنا فلوس.. وإنت عرفنا واحد واحد.. احنا تربيتك يا حاج.. الحمدلله عنينا مليانة.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- أنا مقصدش حد فيكم.. أنا عرفكم.. بس بقول افتكروا يمكن حد غريب دخل المكتب.. أو يمكن حد دخل وأنتم مشفتهوش.

نظر الصبي صابر إلى الحاج إبراهيم الشامي ونطق بصوت عالي:

- ايوه يا حاج.. افتكرت.. حسام.. أيوه حسام ابن أبو يوسف.. جه اما انت دخلت الحمام.. وكان عاوز يدخل الحمام.. قلت له الحاج بيتوضى.. تعال شوية كده.. وسبته ومشيت أصل كان عم شحتة بينادي عليا.. عشان أعلق وياه على قدرة الفول.

أشار الحاج إبراهيم الشامي بيده للصبي صابر:

- تعالى يا صابر.. قرب يا بني.. إنت متاكد يا بنى من كلامك ده؟.

رد الصبي صابر وهو يهز رأسة:

- أيوه يا حاج.. أيوه وأنا هكدب ليه.. حسام جه بالمكتب وكان عاوز يخش الحمام.. قلت له الحاج جوه بيتوضى.. تعال شوية كده.. وبعديها أنا سبته ومشيت زي ما قلت لك.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- طيب.. طيب روحو انتو دلوقتي.. ومحدش يقول لحد على موضوع سرقة الفلوس دي.. محدش يبلغ حد.. الموضوع خليه بنا.. فاهمين.

رد سيد فلافل و الجميع:

- حاضر.. حاضر يا حاج.

انصرف سيد وشحتة وباقي العاملين بالمطعم.. كل إلى عمله.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- بقولك ايه يا سليمان يا بني إنت ومحمود... الناس إللي عندي بالمطعم للأمانة محدش يعمل كده.. ولا يمكن يكون حد فيهم مد إيده على الفلوس.. أنا ياما نسيت فلوس مش في درج المكتب.. لا وكمان فوق المكتب.. وبرجع ألاقيها زي ما هي.. ولا عمر جنية نقص ولا حتى قرش صاغ واحد.

- بصراحة كده أنا شاكك في الواد حسام ابن أبو يوسف.. بعد ما الواد صابر شافه داخل المكتب.. ويا رب يكون ظني مش في محله.. عوزك يا سليمان إنت ومحمود بالراحة كده.. تطلعو بره عند فرش أبو يوسف.. على أساس بتشتروا منه كام كيلو فاكهة كده للبيت.. وفتش كده ورا الميزان أو تحت درج الفلوس.. أو في فرشة

الواد حسام إللي بينام عليها.. حاول يمكن يكون حسام إللي عملها.. ومتخليش حد يلاحظ حاجة.. فهمني طبعًا.. يمكن الواد حسام يطلع مظلوم.. إن بعض الظن إثم يا بني.. يا ريت ما يطلع هو.

خرج المعلم سليمان والمعلم محمود.. إلى فرش أبو يوسف الفكهاني أمام المطعم وقال المعلم سليمان:

- السلام عليكم يا حسام .. عوزين كده كام كيلو موز ولو في تفاح أمريكاني اوزن لنا خمسة كيلو.. عوزين حاجة نقاوة على مزاجك كده للحاجة بالبيت.

رد عليهم حسام وكان والده أبو يوسف يستريح قليلاً على فرشته فترة الظهيرة:

- حاضر تؤمرني يا معلم سليمان.

اتجه حسام إلى سباطة الموز.. ثم توجه إلى أقفاص التفاح ليجمع أفضل ثمراتها ويضعها في اكياس.. في هذا الوقت كان المعلم سليمان يتبادل الحديث مع حسام.. يشغله بعض الشيء.. حتى ينتهي المعلم محمود من إلقاء نظرة حول درج الفلوس.. والميزان.. وفرشة حسام.

كانت المفاجأة التي لم يحسب لها المعلم محمود.. نعم رزمة فلوس.. عشرة ألاف جنيه.. ما زال عليها ورقة البنك الأهلي فرع

لازغولي .. نعم هي نفس رزمة الفلوس التي سرقت من مكتب والدهم الحاج إبراهيم الشامي.

توجه المعلم محمود إلى حسام.. وهو يمسك بيده رزمة الفلوس:

- ايه ده يا حسام.. ايه الفلوس دي..؟

رد حسام وهو ينظر إلى وجه المعلم محمود بتعجب:

- فلوس ايه دي يا معلم..؟!

رد عليه المعلم محمود وهو يشتاط غيظًا:

- مش عارف فلوس إيه يا حسام.

رد حسام:

- أيوه فلوس ايه دي يا معلم.. مش فاهم..؟!

رد المعلم محمود:

- الفلوس.. الفلوس إللي اتخدت من الحاج النهاردة الصبح.. من مكتبه.. إنت بتستعبط..!

بدأ صوت المعلم محمود يعلو.. وهو يقف على الرصيف مقابل المطعم.. استيقظ أبو يوسف والد حسام من نومه.. على صوت المعلم محمود.

سارع المعلم سليمان وأمسك بيد أخيه المعلم محمود يحاول أن يهدأ من عصبيته وقال له:

- محمود.. وبعدين مش عوزين فضايح في الشارع.. ادخل على المكتب نتكلم.. يلا يا حسام تعال معانا.

ارتسم على وجه حسام تجهم شديد.. لم يفهم ما قصده المعلم محمود.. وما هي قصة هذه الفلوس.. رزمة فيها عشرة الآلف جنيه.. وفي الفرش بتعنا ازاي..!

كان الذهول يسيطر على حسام لم يفهم شيئًا مما قاله المعلم محمود.. دخل حسام مع كل من المعلم سليمان والمعلم محمود إلى مكتب الحاج إبراهيم الشامي.. ولحق بهم أبو يوسف.

بدأ المعلم محمود بالحديث:

- يا حاج.. أنا لقيت رزمة الفلوس دي في فرش حسام.. وهو بينكر و بيقول معرفش عنها حاجة.

رد الحاج إبراهيم الشامي:

- متستعجلش يا محمود يا ابني خلينا بس نشوف رزمة الفلوس.. هي المفروض محطوط عليها ورقة البنك زي الثلاثين ألف إللي معايا دول.. خلينا نشوف هو فعلاً نفس ختم وفرع البنك ولا لا.. نولني النظارة يا محمود يا بني.

وضع الحاج إبراهيم الشامي نظارته.. وأخذ يدقق في رزمة الفلوس التي وجدها المعلم محمود في فرش حسام.. نعم نفس ورقة البنك.. البنك الأهلي فرع لازغولي.. نعم إنها هي رزمة الفلوس التي سرقت من مكتب الحاج إبراهيم الشامي اليوم.

لم يتمالك الحاج إبراهيم أعصابة.. نهر حسام بصوت عالي:

- الفلوس دي يا حسام إنت خدتها النهاردة من المكتب.. ده رد الجميل.. دي كلمة شكرًا إللي تقولها ليا بعد ما خلتكم تفرشوا قدام المطعم.. وكنت بعاملكم أحسن معاملة.. محدش بيعمل كده في الشارع.. وأنتم عرفين ده كويس.

رد حسام:

- يا حاج إبراهيم .. والله أول مرة أشوف الرزمة دي.. والله ما خدت حاجة ولا أعرف إزاي الرزمة دي كانت في الفرش عندي.. والله العظيم يا حاج.

قاطع أبو يوسف كلام ابنه حسام وقال:

- استني إنت يا حسام يا بني.

- يا حاج إبراهيم بقى إنت تصدق إن ابنى حسام يسرق..؟! لا يا حاج إبراهيم أنا ربيت.. وعارف أخلاق ابنى كويس.. عمره ما يمد إيده على حاجة حد.. مش يمد إيده على فلوس واحد

زيك لـه أفضـال عليـه وعلـى أبـوه.. إحنـا منعضـش أبـدًا الإيـد إللـي تتمـد لينـا.. لا يـا حـاج.. ابنـى ميعملهـاش.

رد الحاج إبراهيم الشامي:

- ماهـو المعلـم محمـود طلـع الفلـوس مـن الفـرش بتاعـه.. وقـدام عينـه.. وهـي نفـس الفلـوس إللـي اتسـرقت.. ايـه عفريـت خدهـا وحطهـا في الفـرش عندكـم..؟!

- أبـو يوسـف خـد ابنـك واتـكل علـى اللّه مـن هنـا مـش عـاوز أشـوفكم بالمنطقـة خالـص.. فهمنـي.. ده جـزاء المعـروف بـرده.. علـى المغـرب تكـون جايـب عربيـة وناقـل حجتـك.

رد ابو يوسف وهو حزين من هذا الموقف:

- إللـي تؤمـر بيـه يـا حـاج.. بـس ربنـا أعلـم إن ابنـى مظلـوم.. وقـادر ربنـا يظهـر الحـق.. إحنـا مـش حرميـة ولا عمـر ابنـي يسـوي حاجـة زي كـده.. علـى العمـوم احنـا هنمشـي دلوقتـي.. مـش هنسـتنى للمغـرب.. الـرزق بتـاع ربنـا.. السـلام عليكـم.

●●●

حب لا يموت

عادت ورد من المدرسة لتجد سيارة نقل تقف أمام المطعم.. تحمل فرش أبو يوسف الفكهاني.. لم تعرف ما يجري.. حتى سألت والدها شحتة الراوي:

- يابا إيه إللي حصل شيفه عم أبويوسف وابنه حسام بيحملو حاجاتهم على العربية بره.. في حاجة..؟ في مشكلة مع الحي ولا ايه..؟

الدموع تملأ عيون شحتة الراوي.. سيفارق أبو يوسف المكان.. إنها عشرة سنين.. لم يُجب شحتة على ابنته ورد.. تجهم وجهه ووقف صامتًا.. ذهبت ورد إلى سيد فلافل:

- في إيه يا عم سيد إيه إللي حصل.. عم أبويوسف ماشي ليه من هنا.. حد يرد عليا.. حد يفهمني..؟!

لم تتوقع ورد في يوم من الأيام.. أن يترك حسام الحي.. حسام ليس لصًا.. حسام هذا القلب الطيب الذي علمها الحب.. لايمكن أن يعرف الكذب ولا الخديعة.. لا يعرف الحرام.. فهو عزيز النفس.. شاكرًا للمعروف.

كانت تلك الكلمات تدور في عقل ورد .. عقلها يرفض أن يفكر في مجرد اتهام حبيبها حسام بهذا الاتهام القاسي.. هي تعرفه جيدًا.. لايمكن لحسام فعل ذلك.. لا يمكن.. لا يمكن.. في الأمر شيء غامض..!

كل صباح كعادتها ورد.. توصل أخواتها إلى المدرسة وتنتظر بعض الوقت في شارع التحرير أمام مكتب بريد باب اللوق قبل ذهابها إلى مدرستها.. لم يحضر حسام منذ عدة أيام.. لم تتعود غياب حسام عن موعده من قبل.. لا تعرف ورد إلى أين استقر هو ووالده.. فهو بائع بسيط.. على باب الله.

لم تيأس ورد من الانتظار كل صباح.. حتى في الموعد المعتاد يوم الجمعة بعد صلاة العصر.. جمعة تلو الأخرى لم يأتي حسام.. حتى جاء يوم اللقاء.. انتظرت حسام في تلك الجمعة بشارع شريف بوسط البلد.. لقد افتقدته ورد كثيرًا.. وتريد الاطمئنان عليه.

وصل حسام.. وقف على ناصية شارع عدلي مع شارع شريف بالقرب من مدخل عمارة «فيلبس» قابلته ورد بترحاب.. لم ينطق حسام بكلمة واحدة.. أمسك بيد ورد وقبض عليها.. كان كالمشتاق يريد أن يرتمي بين أحضان حبيبته.. يشكي همه.. كالغريق وسط الأمواج العاتية.. قد أمسك أخيرًا بقارب النجاة.. هي وحدها ورد.. سيحكي لها.. ويشكي لها كل آلامه و أوجاعه.

قالت ورد:

- حسام.. إنت وحشتني قوي.. إيه الغيبة الطويلة دي.. مبتتكلمش ليه.. مالك يا حسام.. أنا ورد يا حسام اتكلم أرجوك.. أنا كنت قلقانه عليك قوي.. بس الحمدلله إني شفتك النهارده.. بجد فرحانه إن إنت جيت.

رد حسام بصوت يمتزج به الكثير من الحزن:

- انتي كمان وحشتيني قوي يا ورد.. بس إللي حصل كان شيء صعب.. بقى احنا، الحاج إبراهيم الشامي يتهمنا الاتهام ده.. أنا أسرق الحاج إبراهيم.. ؟! الراجل إللي خيره عليا وعلي أبويا.. والله يا ورد أنا عمري....

لم يكمل حسام كلماته.. حتى وضعت ورد يدها على فمه.. وقالت:

- حسام انت بتقول ايه.. وهتحلف علي إيه.. أنا عرفاك يا حسام.. ولا يمكن أتصور أبدًا إنك تعمل كده.. أنا مش بجملك.. أنا وثقة من ده.. الموضوع حد قاصد يعمل كده فيك.. بس السؤال ليه.. ومين صاحب المصلحة أنكم تمشوا من باب اللوق..؟!

نظر حسام في وجه ورد وانتبه إللي ما حدثته به:

- كلامك صح يا ورد.. تصدقي أنا مفكرتش في ده أبدًا.. لكن مين يعنى هيكون قاصد يعمل كده.. أنا كنت طول الوقت بفكر.. إزاي إحنا نطلع من باب اللوق بفضيحة زي دي.. سمعتنا يا ورد.. سمعتنا وسمعة أبويا.. ده كل إللي يهمني.. مفكرتش مين ممكن يعمل كده. وإزاي.. وليه.. على العموم منه لله.. منه لله.

قالت ورد:

- بكرة الحقيقة تظهر وتبان يا حسام.. ربك مبيسبش الظالم.. المهم طمني عنك وعن أحوالك.. وعمي أبويوسف عامل ايه.. وحشني والله.

قال حسام مداعبًا ورد:

- هو برده إللي وحشك ولا ابنه يا ورد.

ردت ورد وهي تضحك:

- أيوه وحشني هو وابنه.. مش حمايا برده يا حسام ولا إيه.

بدأت ملامح حسام تهدأ شيئًا فشيئًا.. يتلاشي الحزن والغضب رويدًا رويدًا.. بدأت الابتسامة تعود لهذا الوجه.. فمنذ

أن غادر باب اللوق.. ووجهه عابثًا مرهقًا.. لقد أدخلت ورد الفرحة على حسام.. إنها القلب الذي يحتوية.. يفرج عنه الهم والحزن.. إنها حبيبته ورد.. بهجة الحياة ورونقها.

بدأ المعلم طاهر في مطارده ورد.. ظنًا منه أنها ابتعدت عن حسام.. أو بالاحرى ابتعد حسام عنها بل عن المنطقة ككل ولم تعد تراه.. لقد أرسل صبيه صابر أكثر من مرة وراء ورد.. يحاول أن يعرف إلى أين تذهب وهل ما زالت تقابل حسام خارج حي باب اللوق.. وكانت المصادفة أن تلك الأيام التي راقبها فيها الصبي صابر هي تلك الأيام التي لم يأتِ فيها حسام في الموعد للقاء ورد.. نقل الصبي صابر الخبر إلى المعلم طاهر بأن ورد تخرج فقط تتمشى في الشارع وحدها.. وعندها تيقن المعلم طاهر أن حسام قد أُزيح من طريقة إلى الأبد.. وأن ورد الآن ستكون فريسة سهلة خالصة له.

المعلم طاهر أحب ورد.. نعم أحبها ولكنه حب من نوع آخر.. حب التسلط والامتلاك.. نعم يريد أن يمتلكها.. أنه دائمًا ما يشعر بالإهانة عندما ترفضة فتاة ما.. فهو دائمًا صبور يحاول مرات عديدة حتى تستسلم الفتاة و تستميل له.. عندها فقط يشعر بنشوة الانتصار.. هكذا كان حبه لورد ابنة شحتة الراوي.

ورد كانت عاصية عليه.. إنها نوع آخر من الفتيات.. لم يعتاد عليه.. حاول المعلم طاهر أن يغازلها.. أن يغريها بالمال.. بالهدايا.. لم تستجيب ورد.. فقلبها نقي كنقاء الثلج.. نعم لم ولن تتخلى عن حسام.. هو حبيبها.. رجلها.. هو زوج المستقبل.

اتفق حسام مع ورد على أن يتقدم لها رسميًا.. حتى يكون حبهما في النور أمام الجميع.. فالحب الطاهر لا يكلله إلا الزواج.. نعم ذهب يطلب هو ووالده أبو يوسف يد ورد.. كان اللقاء بسيطًا على مقهى قصر البشوات.. جلس كل من حسام ووالده أبويوسف وشحتة الراوي على طاولة واحدة.

وبدأ أبويوسف الحديث:

- شوف يا عم شحتة يا راوي.. أنا مش هطول عليك عشان إحنا ناس عرفين بعض كويس.. وعشرة عمر.

رد شحتة الراوي:

- طبعا يا أبويوسف دى عشرة عمر وإنت اكثر من أخ.

استكمل أبو يوسف حديثة:

- طيب يا شحتة إحنا النهاردة جيين لك أنا وحسام ابني نطلب إيد بنتنا ورد.. عشان نفرح بيهم.. وحسام ابنك وإنت مربيه على إيدك.

رد شحتة الراوي و تعلو وجهه ابتسامة هادئة مرحبه:

- يا أبويوسف ورد بنتك وإللي تؤمر بيه.. وحسام زي ابني تمام.. ومش هلاقي لبنتي راجل شهم وجدع زي حسام.

رد ابو يوسف:

- يعنى كده يا شحتة نقول مبروك.

رد شحتة الراوي:

- على بركة الله يا أبويوسف.. نقرأ الفاتحة ربنا يتمم لهم على خير.

قرأ الفاتحة أبو يوسف وشحتة الراوي وحسام.

نادى شحتة الراوي على الواد كنكة:

- يا واد يا كنكة نزل مشاريب هنا.

قال كنكة:

- أجيب لكم شاي ولا قهوة...؟

رد شحتة الراوي بأعلي صوته:

- نزل شربات يا واد يا كنكة.. ونزل لكل إللي في القهوة.

وقف شحتة الراوي ووجه كلماته لجميع من بالمقهى:

- النهارده يا جماعة حسام طلب إيد بنتي ورد.. وإن شاء الله كلكم معزومين على الفرح.. وادعو لهم ربنا يتمم لهم على خير.

تهافت من في المقهى على شحتة الراوي وحسام وأبويوسف.. يهنئون ويباركون هذه الخطبة.

وصل الخبر بسرعة البرق إلى عمال المطعم.. وعند عودة شحتة بعد صلاة العشاء للمطعم قام الجميع بتهنئته.. وما هي إلا بضع دقائق حتى صعد شحتة إلى غرفته.

نادى شحتة على ورد:

- يا ورد.. يا بنتي تعالي عوزك.

جلست ورد على الأريكة بجوار والدها.

- نعم يابا عوزني بحاجة.

كانت ورد تعلم بأن حسام سيأتي اليوم لخطبتها.. كانت مبتسمة تنظر لوالدها في خجل.

قال شحتة الراوي:

- ايه يا ورد شكلك كده عرفه يا بنتي كل حاجة.

ردت ورد:

- لا يابا خير في حاجة..؟

قال شحتة الراوي:

- حسام ابن أبويوسف جه الليلة وطلبك مني.. وأنا وافقت.. وبردة الراي رأيك با بنتي.. حسام راجل ومتربي وسطينا.. وابننا واحنا عرفينه كويس.. إيه رأيك..؟

ردت ورد على استحياء:

- هو في قول بعد قولك يابا.

وصل الخبر سريعًا إلى المعلم طاهر.. لم يتوقع أن ورد ما زالت على اتصال بحسام.. ولم يتوقع أن تجري الأمور هكذا سريعًا.

أخبر المعلم طاهر والده الحاج إبراهيم الشامي وهو غاضبًا وقال له:

- يا حاج ينفع كده الواد حسام جه يخطب ورد بنت شحتة الراوي.. احنا مش اتفقنا الواد ده يتقطع رجله من الحته.. بعد العملة السودة إللي عملها.

رد الحاج إبراهيم الشامي:

- عندك حق يا بني والله.. مينفعش رجله تاخد تاني على المكان.. ولاينفع شحتة الراوي يحط إيده في إيد أبويوسف وحسام.. هو الراجل ده كبر وخرف ولا إيه.. نادي ليا على شحتة.

حضر شحتة الراوي مسرعًا.. وقال:

- أيوة يا حاج قالو لي إنك عاوزني.. اؤمر يا حاج.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- جرى ايه يا شحتة.. مش عارف إللي عمله حسام يا راجل رايح تجوزه بنتك.. ده واد حرامي.

رد شحتة الراوي:

- يا حاج الواد مظلوم.. واحنا عرفين أخلاقة كويس.. مش ممكن يكون سرق.. هتلاقي بس في حد مستقصده ولا حاجة.

قال الحاج إبراهيم الشامي وهو منفعلاً:

- إنت بترد عليا يا راجل.. سرق ولقينا الفلوس معاه.. احنا مش هنقعد نعيد ونزيد في الموضوع.. دي حاجة انتهت وخلاص.. مش هنحقق دلوقتي تاني.. المهم الواد ده مشفوش هنا.. والجوازة دي لو تمت تأخد عيالك وتمشي من هنا.. إنت فاهم.. مش ناقص إلا الحرامية هندخلهم بيوتنا كمان يا شحتة.

رد شحتة الراوي:

- طيب يا حاج ليه بس.. حسام رايد البت والبت ريداه.

قال الحاج إبراهيم الشامي:

- انا قلت كلمة.. لو هتجوزه بنتك.. يبقى مع السلامة من هنا.. فاهم.. الكلام خلص خلاص.

رد شحتة الراوي:

- حاضر يا حاج.. حاضر إللي تؤمر بيه.

كانت تلك الكلمات قاسية على شحتة الراوي.. عاد إلى داخل المطعم.. والفكر يشغله كثيرًا.. كيف سيواجه بنته ورد.. بعدما وافق على حسام زوجًا لها.. وفرحت ورد بذلك.. وكيف سيكون موقفة أمام حسام وأبويوسف.. لقد أعطاهم كلمة.

شحتة الراوي.. قرر ألا يخبر ورد بما قاله الحاج إبراهيم الشامي.. فما زال الموضوع مجرد خطبة.. ولو وصل الأمر إلى أن يترك العمل بالمطعم وترك الغرفة التي تأوية هو واولاده.. فسيرحل ورزقة ورزق أولاده على الله.. لكنه لن يكسر قلب ابنته ولن يتراجع عن كلمته التي أعطاها لأبويوسف وولده حسام.

●●●

آه من الأيام

لم يردع المعلم طاهر أي شيء.. ورد ما زالت تشغل باله.. حاول كثيرًا معها.. لكنها لا تستجيب له.. لا تمتثل لرغباته.. أخذ الشيطان يتلاعب برأسه.

في يوم جمعة كان العمل هادئا بالمطعم.. كعادة هذا اليوم من كل أسبوع.. شحتة الراوي كان منشغلاً بالمطبخ يحضر ليوم غد.. سيد فلافل يقف على النار «مقلاة الطعمية».. وعليش يقف على البنك «نصبه الفول والفلافل».. الكل منشغل في عمله.. حتى أولاد شحتة الراوي عبادة ورقية.. أرسلتهم ورد لشراء بعض الكشاكيل من المكتبة بأخر شارع منصور.

يثقل الخمر رأس المعلم طاهر.. فقد شرب اليوم كثيرًا.. على غير عادته.. فهو لا يشرب في مثل هذا الوقت من اليوم.. دائمًا ما يشرب بعد أن يغلق المطعم أبوابه ويذهب مع أقرانه للسهر آخر الليل.. لم يسبق أن أدخل زجاجة خمر مكتب والده الحاج إبراهيم الشامي.

ورد بمفردها بالغرفة أعلى المطعم.. والوقت قارب على المغرب.. في هدوء صعد المعلم طاهر السلم إلى غرفة شحتة

الـراوي.. كان بـاب غرفـة شـحتة مفتـوح.. ورد تنظـف الغرفـة.. تنظـف الأرض بمكنسـة الزعـف (مقشـة).. ترتـدي ملابـس البيـت البسـيطة.. أتـي طاهـر مـن خلفهـا.. لـم تشـعر ورد بدخـول المعلـم طاهـر الغرفـة.. حـاول أن يمسـك بهـا.. أطبـق يـداه علـى خصرهـا.. حـاول أن يقبلهـا.. أنـه يترنـح مـن الخمـر ولا يقـوى عليهـا.

قال المعلم طاهر في صوت خافت:

- ورد.. ورد أنا بحبك ياورد.

إلتفتـت ورد وراءهـا.. لـم تكـن تتوقـع أن تصـل وقاحـة المعلـم طاهـر إلـى أن يتجـرأ ويصعـد إلـى هنـا إلـى غرفتهـا...!

وقفت ورد في ذهول وهي تحاول أن تدفع يد المعلم طاهر عنها.

قالت ورد:

- إنـت بتعمـل ايـه.. وايـه إللـي جابـك هنـا.. خـلاص الخسـة والندالـة وصلـت بيـك لحـد إنـك تطلـع لـي الأوضـة.. إنـت إيـه معندكـش أخـلاق.. بتسـتهين كـده بسـمعة النـاس وشـرفها.

نهرتـه وهـي تحـاول أن تخفـض صوتهـا حتـى لا يسـمعها أحـد.. فهـي فتـاة وأي شـخص سـيعرف بهـذا الأمـر.. فسـتمس سـمعتها لا محالـة.. حتـى ولـو كانـت هـي الضحيـة.

قالت له ورد:

- اتفضل انزل تحت.. لا إلا هصوت وألم عليك الناس.

لم يستجب المعلم طاهر لكلمات ورد.. فهو غير مدرك لما يحدث.. أنه مخمور.. حاول أن يمسك بيديها مرة أخرى.. حاولت إفلات أي من يدها من قبضته.. أمسكت بما طالتها يدها.. يد الهون النحاس.. هددته بأنها ستضربه.

عليش لاحظ صعود المعلم طاهر على السلم متجهًا إلى السطح .. كان المعلم طاهر حريصًا إلا يشاهده أحد.. واعتقد أن عليش مشغول مع الزبائن.. لكن عليش كان منتبهًا.. فالسلم إلى غرفة شحتة الراوي يقع مباشرة أمام البنك «نصبة الفول والفلافل».. انتبه عليش.. في الأمر شيء غريب..!

قال عليش لنفسة:

- من امتى المعلم طاهر بيطلع على السطح.. ؟!

- الله.. الله.. لحسن يكون إللي في بالي.. ده النهاردة مونونة مع المعلم طاهر على الآخر.. شارب لما معمي.. ده كده أكيد طالع لأوضة شحتة.

جرى عليش مسرعا وترك كل ما في يده.. أخبر شحتة الراوي بما شاهده:

- يا عم شحتة.. يا عم شحتة.. المعلم طاهر شايفه طالع للسطح.. شكله مسطول ولا إيه.

انتبه شحتة مستغربًا لكلمات عليش.

وقال شحتة:

- قصدك إيه يا عليش.. قصدك إيه يا واد..؟

أدرك شحته الراوي ما يعنيه عليش.. هب شحتة من على مقعده.. قال شحتة لنفسه:

- الله الله.. دي ورد لوحدها فوق.

قفز شحتة الراوي على السلم مسرعًا.. متجهًا إلى غرفته.. وجد المعلم طاهر ممسكًا بورد.. يحاول أن يقبلها.. وورد تقاوم بكل ما أوتيت من قوة.

توجه شحتة إلى المعلم طاهر:

- انت بتعمل ايه يا ندل يا خسيس.

أمسك شحتة الراوي بثوب المعلم طاهر.. أطبق عليه.. كأسد يقتنص فرسيته.. حاول أن يضربة على وجهه.. لم يستطع شحتة إيقاف المعلم طاهر فهو كبير السن وصحته لم تساعدة على مقاومته.. دفعه المعلم طاهر في صدرة.. ارتطم شحتة الراوي بالحائط.. وقع آثرها على الأرض.. إرتمت ورد على والدها.. تحاول أن تساعده.. كان شحتة الراوي يلفظ أنفاسه الأخيرة.. جاءته الأزمة القلبية.. وضعته ورد على السجادة.. اسندت رأسة على وسادة.. همت مسرعة إلى الطاولة.. أحضرت دواء القلب.. إنها أزمة يتعرض لها شحتة الراوي من حين لآخر.. أفرغت قرصين من الدواء أحضرت كوب الماء... عادت لوالدها تحاول أن ترفع راسة من على الوسادة وتضعها على قدمها.. لتعطية الدواء.. كان المعلم طاهر يتابع ذلك في ذهول.. فهو لم يدرك بعد ما فعله بشحتة الرواي وابنته ورد.

قالت ورد:

- يابا.. يابا.. قوم الدوا اهو.. خد الدوا يابا.. لم يجيب عليها شحتة.. نعم تلك كانت آخر لحظات في حياة شحتة الراوي.. مدافعا عن شرفه وعرضه.. عن ابنته ورد.

نزل المعلم طاهر مسرعًا.. أخذ مفتاح السيارة من على المكتب.. ركب سيارته وغادر المكان على الفور.

النواح والبكاء يملآن المكان.. الصوت صادر من سطح المطعم من غرفة شحتة الراوي.. الجميع صعد إلى الغرفة.. شحتة ملقى على الأرض دون حراك.. ورد تضمه إلى صدرها.. تبكي.. تصرخ.. كان نحيب ورد يهز المكان.

عادت ابنته رقية وولده عبادة من المكتبة.. وجدو والدهم شحتة الراوي مسجى على الأرض.. ارتمو على والدهم.. يحاولون إيقاظه.. لكنها النهاية.. احتضنت ورد أخواتها رقية وعبادة و كل ما كانت تردده ورد:

- يابا يابا.. هتسبنا لمين يابا.

توفى شحتة الراوي.. المسئولية كبيرة.. لن تستطيع ورد بعد الآن أن تفكر في مستقبلها وحدها.. الآن أصبحت هي الأب والأم والأخت.. هي العائل الوحيد لأخواتها.. لم تعد أحلامها الآن ممكنة.. الزواج من حسام.. استكمال تعليمها.. كل ذلك انهار فجأة.. كان والدها شحتة الراوي هو الآمان هو القلعة الحصينة التي كانت تبنى ورد من وراء أسوارها كل أمانيها.

حضر طبيب الصحة للكشف على شحتة الراوي.. فالوفاة كانت طبيعية نتيجة أزمة قلبية مفاجئة.. فالتقرير لم يرَ ماحدث.. ولم يعرف أحد غير ورد ما جرى في هذا اليوم.. لم يذكر التقرير

اسم المعلم طاهر.. لكن اسمه حفر في ذاكرة ورد.. لن تنساه.. لن تغفر له موت والدها.. فالأيام قادمة لا محالة.. ليدفع المعلم طاهر الثمن.

ذهب عبادة إلى خاله عويضة في مكان عمله بالسنترال.. أبلغه بالخبر المشئوم.. حضر على الفور عويضة.. جميع من بالمطعم حاول تقديم يد العون والمساعدة.. بعضهم ذهب للحصول على تصريح الدفن.. والآخر قام بالاتصال بسيارة الجمعية الشرعية لنقل الجثمان.. منهم من آجر سيارات لمن سيسافر مع الجثمان لمثواه الآخير.. سيدفن شحتة الراوي في قريته ومسقط رأسه.. قرية كفر ميت أبو عميرة.

أمّ المصلين في صلاة الجنازة الأمين زكريا.. كان يبكى في صلاته ومن وراءة جمع غفير من الناس.. يبكون ويدعون لشحته الراوي بالرحمة والمغفرة.. سيترك شحتة الراوي فراغا كبيرًا لدى الجميع .. من عرف شحتة الراوي وما لم يعرفه حضر صلاة الجنازة.. كانت الزاوية مكتظة بالمصلين.. إلى ان وصلت صفوف المصلين إلى نهاية شارع منصور.

رافق عويضة الجثمان إلى مثواه الآخير بقرية كفر ميت أبو عميرة ومعه الكثير من أهل حي باب اللوق.. منهم الحاج إبراهيم الشامي وأولادة سليمان ومحمود.. والمقدس كريلس الجزار..

وعمال محل قصب سلامة.. وعبدالرحمن عامل الثلج.. والشيخ أحمد الصعيدي.. والمعلم رضوان صاحب محل المكرونة.. ومدبولي صاحب كشك الجرائد.. وأبو يوسف وولده حسام.. وكثير من العاملين بسوق باب اللوق.

كان يومًا حزينًا على باب اللوق.. لم تذهب ورد ولا أختها رقية إلى القرية.. لايعرفون أحدًا هناك.. أخذتهم الست حسنات زوجة خالهم عويضة إلى بيتها لحين عودة عويضة من القرية.. سافر الرجال فقط.. ومعهم عبادة ولد شحتة الراوي.. ما زال صغيرًا.. كان شحتة يتمنى أن يكبر عبادة سريعًا ليكن سند لأخواته البنات ورد ورقية.. لكنها الأقدار.

لم يعد هناك مكان لورد وأخواتها داخل مطعم الحاج إبراهيم الشامي.. لا عمل.. لا سكن.. لا أمان.. بعد ما تجرأ المعلم طاهر وصعد إلى غرفة ورد في حياة والدها شحتة الراوي.. والآن بعد ما مات الأب.. فلن يكون هناك رادع للمعلم طاهر.. سيحاول مرة أخرى.. إذًا هو الرحيل.. لم يعد لورد لقمة عيش في مطعم الحاج إبراهيم الشامي.

حاول الحاج إبراهيم الشامي أن يثني ورد عن قراراها مغادرة المطعم وغرفتهم.. لم يتسطع إقناعها بأن تجلس وتعمل بالمطعم وتعيش بالغرفة هي وأخواتها كما كانت.. وسيكون مسئولاً عنهم ..

إلا أنَّ ورد أبت.. فكيف لها أن تعيش في مكان به ذئب مثل المعلم طاهر.. وكيف تنسى من كان سبب في موت أبيها.

بحثت ورد عن غرفة قريبة في حي باب اللوق.. وجدت غرفة متواضعة بجوار سوق باب اللوق.. الجميع رحب بورد فالعاملين بالسوق جميعهم أسرة واحدة.. ستعيش معهم.. على الرغم من أنهم بسطاء.. لكنهم أناس يعرفون معنى الشرف والأمانة.. ستكون بينهم هي وأخواتها آمنين مطمئنين.

فكرت ورد أن تقوم بشراء عربة مأكولات.. تقف في شارع منصور بجوار السنترال.. فالحركة كثيفة في شارع منصور وهذا الموقع يمر به المئات من الموظفين يوميًّا.. عوضًا عن العاملين بسنترال باب اللوق.. فهو مشروع بسيط لكنه سيوفر القوت اليومي لورد واخواتها ومصاريف الدراسة وأجرة الغرفة.. كان لدى ورد بعض المال.. كان والدها يدخره من راتبه.. يضعه في علبته الصفيح القديمة التي يضعها تحت فراشه.. فقط بضع مئات من الجنيهات.. ورد كانت على علم بها.. فقد وصاها أكثر من مرة.. وأبلغها بأنه يدخر بعض المال لها ولأخواتها.

أخذت المال واشترت ورد به عربة للمأكولات.. واشترت بعض مستلزماتها من أطباق وصواني ومعالق.. واقترضت من خالها عويضة بعض المال.. لشراء الأجبان والقشطة ومستلزماتها

اليومية.. فما تركه لها والدها شحتة الراوي.. بالكاد سدد ثمن عربة المأكولات.. كان هناك قراطين ارض في القرية بالإضافة إلى الدار التي كان يمتلكها شحتة الراوي.. أوصت ورد خالها عويضة ان يحصل ايجار القراطين من سلامة المناوي ولد المشتاوية.. فمنذ وقت طويل لم يذهب والدها شحتة الراوي إلى القرية لتحصيل الإيجار.. وورد وأخواتها الآن في حاجة ماسة إلى كل قرش.

حَصَّل عويضة إيجار القراطين بالبلد.. وأحضر المال إلى ورد.. لم يتعدى المبلغ الثلاث ألاف جنيه.

قالت ورد لخالها عويضة:

- أنا هأخد بس ألف جنيه عوزة أشتري كام حاجة كده لزوم الشغل.. وخلي باقي الفلوس عندك يا خال.. بس خد الأول حقك.. الفلوس إللي كنت سلفاها منك.. والباقي شيله معاك.. محدش عارف بكرة في إيه.. وأهي مستورة والحمدلله.. عربية السندوتشات مغطية مصروفنا أنا وأخواتي.

تبدأ ورد عملها في الفجر.. تجهز الطعام في البيت طوال الليل.. وترتب عربة السندوتشات منذ الفجر.. تحضر معها كل المستلزمات من أجبان وقشطة ومربي.. المخبز يرسل لها كل صباح الصبي حموده على التروسكل بما تحتاجه ورد من خبز أفرنجي

«فينـو».. كان الجميـع يعطـف علـى ورد وأخواتهـا.. إنهـا ابنـة شـحتة الـراوي الرجـل صاحـب السـيرة الطيبـة بالحـي.

مـا هـي إلا عـدة أشـهر واشـتهرت ورد بمنطقـة بـاب اللـوق.. كانـت تقـف كالرجـال.. بنـت بلـد ترتـدي الجلبيـة البلـدي.. تضـع الشـال علـى رأسـها.. تبيـع جميـع سـندوتشـات الجبنـة والمربـي والقشـطة في الصبـاح .. وتبيـع سـتندوتشـات الكبـدة والسـجق في المسـاء.. الـكل يقـف علـى عربـة ورد.

كان يداعبهـا الجميـع صغيـرًا وكبيـرًا.. تـرد للجميـع التحيـة والسـلام.. وتـرد علـى المداعبـة بإبتسـامتها المعهـودة.

كان الجميـع يحبهـا.. لبشاشـتها وخفـة ظلهـا.. هـذه الفتـاة البسـيطة ابنـه المـدارس المتفوقـة.. تحولـت منـذ أيـام قليلـة إلـى بائعـة علـى عربـة مأكـولات في الشـارع.. تقـف صامـدة كالرجـال.. مـن أجـل لقمـة العيـش.

فتحـت عربـة المأكـولات بـاب رزق كبيـر لـورد واخواتهـا.. وكانـت مـن وقـت لآخـر عندمـا تتحصـل علـى بضـع ألاف مـن الجنيهـات.. تذهـب إلـى خالهـا عويضـة وتعطيـة المـال ليشـتري لهـا ولأخواتهـا أرض بالقريـة بجـوار القراطـين التـي ورثتهـم هـي وأخواتهـا عـن والدهـم.. ومـن ثـم يؤجرهـم إلـى صاحـب النصيـب.

لم تنسَ ورد حسام.. لكنها ابتعدت عنه.. في آخر لقاء جمع بينهما بعد وفاة والدها شحته الراوي.. لم يسعها إلا أن ترحل بقلبها بعيدًا.. نعم إنها في أمس الحاجة إلى الحب والعاطفة.. لكن اهتمامها بعملها وبأخواتها لن يسمح لها أن تعيش الحب التي طالما حلمت به مع حبيبها حسام.

قالت ورد:

- حسام أنت عارف ظروفي دلوقتي بقت صعبة أد إيه.. بقيت أنا كل حاجة لأخواتي.. وأخواتي صغيرين.. لسه قدامهم كثير على ما يكبروا ويتعلموا.

رد حسام وقد ارتسمت على وجهه ملامح الحزن لكلمات ورد:

- ورد أنا مقلتش لك سيبي أخواتك أو أتخلي عنهم.. لكن حبنا يا ورد.. نسيتي كده حبنا بسرعة.. نسيتي حلمنا.. نسيتي لما أتعهدنا إننا منسبش بعض أبدًا.. أتعهدنا إننا نعيش على الحلوة والمرة.. كتبنا صفحات في قصة حبنا.. ودلوقتي بترمي ورا ظهرك كل شيء كان حلو بنا.

ردت ورد وهي تتأمل في عين حسام:

- أبدًا يا حسام.. عمرى ما هنسى حبك.. عمرى ما هنسى كل لحظة جمعتنا سوا.. أوعى تتهمني بأني فرطت في حبك..

أبـدًا .. أتهامـك ده بيجرحنـي قـوي.. مجـرد بـس إنـك تفكـر فيـه.. مجـرد أن عينـك تيجـي في عنيـا وأحس إن في لحظـة تكون نظراتـك ليـا مليانـه عتـاب.. أنـا حبيتـك يـا حسـام.. يمكـن أكثـر مـن الحـب إللـي أنـت حبيتـه ليـا.. لكـن هرجـع وأقـول لـك تانـي إن الظـروف أقوى مننـا إحنـا الاثنين.. مقـدرش دلوقتـي إلا إنـي أقفـل علـى قلبـي وأنسـى شـوية عواطفـي.. مـش عـوزة أحس في يـوم أنـي كنـت أنانيـة.. وأنـي فكـرت في نفسـي وبـس.. يـا ريـت كان حلمنـا أتحقـق.. لكـن ده قدرنـا يـا حسـام.. ولازم نرضـى بالمكتـوب.. ومـين عـارف يمكـن القـدر زي مـا بيفرقنـا دلوقتـي.. تانـي يرجـع يجمعنـا.. حبنـا صـادق ولا يمكـن يمـوت أبـدًا مهمـا طـال الزمـن.

صمتت ورد بعـض لحظـات.. وأخـذت تنهيـدة عميقـة وهـي تنظـر في عـين حسـام.. ثـم اسـتكلمت حديثهـا:

- كفايـة يـا حسـام إننـا عشـنا الحـب.. عشـنا لحظـات جميلـة.. يمكـن كثيـر معشـوهاش زينـا.. ربنـا إدانـا القلـوب الطاهـرة.. إدانـا الإحسـاس والمشـاعر.. مـش معنـى إننـا مـش هنجـوز.. إنـي هنسـاك يـا حسـام.. أنـت عـارف أد إيـه حبـك في قلبـي كبيـر.. وعمـرى مـا هنسـاك أبـدًا لآخـر العمـر.

رد حسام:

- يعنى خلاص يا ورد.. مش هشوفك تاني.. قصة الحب إللي عشناها.. خلاص دي آخر صفحة فيها.. كان نفسي قصة حبنا تكون بدون نهاية يا ورد.. حب للأبد.

قالت ورد وهي تمسح وجه حسام.

- ومين قال أن دي النهاية يا حسام.. الحب عمرة ما بينتهي.. الحب في القلب بيتولد.. مش مجرد قلب على ورقة بيترسم.. ولا جواب بيكتب.. الحب شيء عظيم.. الأجمل إننا عشناه.. وعمره ما حد هيفرقنا أبدًا.. أبدًا يا حسام.

أمسك حسام يد ورد قبلها ضمها إلى صدره.. قال والكلمات تأبى أن تخرج من فمه:

- الوداع يا ورد.. يا أجمل قلب عرفته.

قالت ورد ودموعها تتسارع على وجنتيها:

- مع السلامة يا حسام.. مع السلامة.

●●●

الإمبراطورة

ورد.. اسم يتردد كثيرًا هذه الأيام في حي باب اللوق.. الكل أصبح يعرفها.. الكل يشهد لها بأنها ملكة السندوتشات في حي باب اللوق.. موظفي الوزارات والهيئات.. صغيرًا كان أم كبيرًا يأكل من عمل يديها.. طلبات يومية بألاف الجنيهات.

توسعت كثيرًا ورد في عملها.. بدأت بعامل واحد حتى أصبح لديها عشرات العمال.. بين بائعين وموصلي طلبات.. عوضًا عن عمالة التجهيز في مطبخها الكبير التي إستأجرته حديثًا داخل سوق باب اللوق.

أخوات ورد عبادة ورقية دائمًا بجوارها.. عبادة كان معها في كل صغيرة وكبيرة في إدارة المطعم.. وأختها رقية كانت المسئولة عن الأمور المالية.. فحجم العمل أصبح كبيرًا.

يوم تلو الآخر تزداد ثقة الزبائن بورد.. الجميع يتكلم عنها عن شطارتها.. عن إدارتها.. عن جدعنة ولاد البلد.. كانت جادة في عملها.. حازمة شديدة في تعاملها مع العاملين.. لكنها كانت تخفي قلبًا طيبًا رقيقًا.

بدأت ورد تتوسع.. تشتري المحل تلو الآخر بشارع منصور.. لم يتبقَ في شارع منصور إلا القليل من المحلات التي لم يوضع عليها يافطة «الإمبراطورة».. نعم كان هذا هو الاسم الذي أطلقه عليها زبائنها.. ورد كان اسم فتاة بسيطة مرتبط بعربة المأكولات أمام السنترال.. اليوم تمتلك ورد الكثير والكثير.. فلم يتبقَ في شارع منصور إلا محل بقالة عدنان الحلبي.. وسينما باب اللوق الصيفية ومطعم الحاج إبراهيم الشامي ومكرونة رضوان.

من يرى ورد اليوم.. لن يعرفها.. فهي الآن إمبراطورة بكل ما تعنية هذه الكلمة من معنى.. عباءتها السوداء المطرزة.. ربط الشال على رأسها.. الحلى الذهبية التي تزين بها معصمها.. السلسة التي تتدلى من عنقها.. أقراطها الذهبية التي تصل إلى كتفيها.. صوتها العالي الجهور.. مشيتها وضربها الأرض بقدميها.. ورنة خلخالها الذهبي.. تمشي كالطاووس.. ومن حولها الصبيان.. أحدهم يسارع ليحضر لها مقعدها الوردي المدهب.. والآخر يحضر لها الأرجيله (الشيشة).. وصبي آخر يأتي مهرولاً يحمل مقعد صغير مبطن.. لتضع عليه قدميها.

إمبراطورة تجلس لتأمر وتطاع.. تتابع عملها بإتقان ومن وقت لآخر تمر على رواد المطعم.. تقف عند كل طاولة.. تكرم زبائنها:

- بالهنا والشفا.. تؤمر بحاجة يا باشا.. كل واتهنا إنت عند الإمبراطورة.

وتنادي على أحد صبيانها:

- واد يا نونو.. مايه هنا.. ونزل سلطات للبهوات.. وساقع على حساب الإمبراطورة.

لاتهدأ الإمبراطورة.. شعلة من النشاط.. تدير كل من حولها.. الكل يجب أن يكون سعيدًا بجلسته على طاولة في مطعم الإمبراطورة.. يستمتع بأطباقها.. بضيافاتها.. بخدمتها المميزة.. إنها الإمبراطورة.. الوجه الجديد لورد ابنه شحته الراوي.. صاحبة أشهر مطعم للأكلات المصرية.

طاولات مطعم الإمبراطورة تمتد من أول شارع منصور من على ناصية شارع محمد محمود وحتى نهاية الشارع على ناصية شارع التحرير.. الشارع يعج بالزبائن.. الطاولات والكراسي ممتلئة عن آخرها.. لايوجد موضع لقدم.. فالجميع أتى إلى هنا من أجل أن يستمتع بأطباق الإمبراطورة.

الإمبراطورة ما هي إلا ورد البنت الريفية البسيطة.. القلب المغرم بالحب.. عندما تغلق باب غرفتها.. تضع عنها عبائتها وأقراطها الذهبية.. تضع عنها وجه الإمبراطورة صاحبة الصيت.. المرأة القوية.. التي يعرفها القاصي والداني.. تعود إلى ورد الإنسانة.. ورد التي خفق قلبها منذ أن نظرت لوجه حسام..

هـذا الوجـه الـذي لـم ولـن تنسـاه.. حبهـا الوحيـد.. فـارس أحلامهـا التـي طالمـا حلمـت بـه.. لقـد افتقدتـه كثيـرًا.. كانـت تتمنـى أن يكـون بجوارهـا دائمًـا.. لكنهـا قـررت أن تبتعـد.. حتـى تهتـم بأخواتهـا .. وهـا هـي الأيـام تبتسـم لهـا.. فقـد حصـدت المـال وحـب النـاس.. لكنهـا مـا زالـت تفتقـد لحبهـا الوحيـد حسـام.

مطعـم الشـامي مغلـق منـذ عـدة أيـام.. سـألت الإمبراطـورة أحـد صبيانها:

- واد يـا حمامـة.. إيـه حكايـة مطعـم الشـامي.. هـو مقفـول بقالـه كام يـوم ليـه يـا واد.

رد عليها حمامة:

- أيـوة يـا إمبراطـورة.. أصـل الحـاج إبراهيـم الشـامي تعيشـي انتـي.. مـن كام يـوم كـده.

ردت الإمبراطورة وقد صدمها خبر الوفاة:

- اللّه يرحمـه كان راجـل طيـب.. وليـه يـا واد محـدش قلـي.. يقولـو علينـا إيـه النـاس دلوقتـي.. أنتـم مفيـش حـد فيكـم كـده مصحصـح ويبلغنـي بالحاجـات دي أول بـأول.. يـلا روح شـوف شـغلك.. لتكـم هـم.

نادت علي صبيها حمامة مرة أخرى قبل أن يذهب.

وقالت له الإمبراطورة:

- بقولك يا واد يا حمامة.. خد تعالى.. خليهم يجهزوا العربية المرسيدس السودة.. وكلم المعلم عبادة على التليفون خليه يجهز حاله.. قوله الإمبراطورة بتقولك منتظراك بالمطعم.. هنروح سوا نعزي في عمك الحاج إبراهيم الشامي.. يلا يا واد بسرعة.. غور من وشي.

حضر المعلم عبادة بالسيارة المرسيدس السوداء الفارهة.. ركبت الإمبراطورة معه.. توجها سويًا إلى عمارة الحاج إبراهيم الشامي بحي السيدة زينب لتقديم واجب العزاء.. المكان مكتظ بالمعزين.. فالخبر قد أفجع أصدقاء وجيران الحاج إبراهيم الشامي.. على الرغم من مضي أكثر من ثلاث أيام على وفاته.. فما زال المعزين يتوافدون على بيته لتقديم واجب العزاء.

دخلت الإمبراطورة ومعها أخوها المعلم عبادة إلى مجلس الرجال.. كان يقف ابنه الأكبر المعلم سليمان وبجوارة أخوة المعلم محمود، يتلقون العزاء.. ومن بعيد يجلس ولد الحاج إبراهيم الشامي الأصغر المعلم طاهر.

مـدت الإمبراطـورة يدهـا وصافحـت كل مـن المعلـم سـليمان والمعلـم محمـود.. وقدمـت واجـب العـزاء:

- البقاء لله.. وربنا يجعلها آخر الأحزان.

رد المعلم سليمان:

- شكر الله سعيكم.

قالت الإمبراطورة:

- أدخل أنا أقعد مع الحريم.. ربنا يصبركم.

دخلت ورد إلـى مجلس النسـاء.. وجلس عبـادة في مجلس الرجـال مـع المعزيـن.. لـم يطيـلا الجلـوس.. فمـا إن انهـي القـارئ الربـع الأول.. حتـى قـام عبـادة مـن مجلسـة.. وصافـح المعلـم سـليمان والمعلـم محمـود والمعلـم طاهـر.. غـادر مجلس الرجـال.. أرسـل ولـد صغيـر إلـى مجلس النسـاء لينـادى علـى أختـه ورد حتـى يغـادرا العـزاء.

كان مطعـم الشـامي.. آخـر صلـة تربـط الأخـوة أبنـاء الحـاج إبراهيـم الشـامي يرحمـه الله مـع حـي بـاب اللـوق.. كان الأب يجمعهـم.. يقـوى الصلـة بينهـم.. لكـن الدنيـا أخذتهـم بعيـدًا بعـد وفـاة والدهـم.. لـم ينتبـه أحـد إلـى المطعـم.. أُهمـل كثيـرًا.. العمـال الآن هـم مـن يسـيرون أعمـال المطعـم اليوميـة.. إلـى أن أغلـق المطعـم..

وأخذ العمال كل ما طالته أيديهم ممن خف وزنه وثقل ثمنه.. لن يجد أبناء الحاج إبراهيم الشامي حلاً لتدهور العمل بالمطعم بعد أن استولت الإمبراطورة على معظم محلات شارع منصور.. فلا أحد يجابهها.. فهي تنفق الكثير وتفيض على رواد مطعمها بأفضل الأكلات وبالخدمة المميزة وبأسعار في متناول الجميع.. لا أحد يقف أمامها.. أو ينافسها في الأسعار أو الجودة.. ولم يعد مطعم الشامي كما كان.. ومثله الكثير بالحي.. فهو زمن قد ولى.. واليوم مطعم الإمبراطورة.. والإمبراطورة فقط دون منازع.

أولاد الحاج إبراهيم الشامي قرروا أخيرًا أن يتم بيع المطعم بعد أن بات تشغيلة مستحيلاً في ظل منافسة مطعم الإمبراطورة وسطوته على شارع منصور بأكمله.. لم تضع الإمبراطورة هذه الفرصة من بين يديها.. لقد أصبح معظم محلات الشارع ملكًا لها.. وها هو مطعم الشامي.. قاب قوسين أو أدني من أن يكون ملكًا لها.

عرض المعلم سليمان المطعم للبيع.. علق يافطة.. ووضع رقم هاتفه.

الإمبراطورة تدرك تمامًا أن أولاد الحاج إبراهيم الشامي رحمة الله.. إن حصلت على موافقتهم ببيع المطعم لها.. فسيعترض بكل تأكيد المعلم طاهر.. فالمعلم طاهر لم ولن ينسى أبدًا صفعة الفتاة الفقيرة ورد ابنة العامل البسيط شحتة الراوي.. بل سيزيد المعلم طاهر في عناده.. وسيوقف بيع المطعم لها لا محاله.

اتصلت الإمبراطورة بمحاميها الأستاذ عادل السلاموني.. ابلغته برغبتها في شراء مطعم الشامي.. لكن أفهمته جيدا أنها لاتريد أن تظهر هي كمشتري.. تريد شخصًا ما يشتري المطعم كواجهة ليس إلا.. وبعدها ينقل المطعم بأسمها.. أوصت محاميها أن يشتري المطعم بسعره العادل.. ولايحاول أن يبخث من ثمنه.

قالت الإمبراطورة للمحامي:

- إنت عارف أد إيه الحاج إبراهيم الشامي كان زي والدي تمام.. وأنا مش حبه أولادة يبيعوا المطعم بخسارة .. أنا هشتريه بسعره الحقيقي ومتضغطش عليهم بالسعر.

استغرب كثيرًا الأستاذ عادل السلاموني المحامي وقال:

- إزاي بس.. محدش بيعمل كده يا إمبراطورة اليومين دول.. معقول لازم ننزل بالسعر أد ما نقدر.. هو أصلا مش هيلاقي مشتري غيرنا.. ما إنتي عرفة محدش بيهوب ناحية شارع منصور يا إمبراطورة.

قالت له الإمبراطورة:

- المطعم ده ليه ذكريات كثير قوي عندي.. ومش هشترية بسعر قليل.. أنا هشترية بقيمته.. ده أقل حاجة أقدر أعملها وأرد ولو جزء صغير من جمايل الحاج إبراهيم الشامي الله يرحمه..

حتى ولو كان رد الجميل ده لمراته وولاده.. أنا منساش فضلة على أبويا وعليا وعلى أخواتي.. إنت فاهمني.. يا ريت تخلص الموضوع ده وبسرعة.

قال الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- تمام أوامرك يا إمبراطورة.. على آخر الشهر بالكثير أكون جايب لك عقد المطعم.. كلمي لينا بس الأنسه رقية.. تطلع لي مبلغ كده عشان ندفع عربون لحد ما يجهزوا ولاد الحاج إبراهيم أوراقهم ويمضوا العقد.. أنا عارف إنهم لسه ولا عملوا أعلام وراثة ولا حاجة... ووصيها علينا لحسن الأنسه رقية دي إيديها نشفه حبتين.

اشترت الإمبراطورة.. مطعم الشامي.. في بداية الأمر لم يعلم أولاد الحاج إبراهيم الشامي بأن الإمبراطورة هي المشتري.. لن يبقى الأمر سرًا لوقت طويل.. فبعد عدة أيام من نقل ملكية المطعم لها من المشتري.. زارت الإمبراطورة المطعم.. صعدت في أول الأمر إلى الغرفة التي كانت تسكن بها هي ووالدها وأخواتها.. جلست بها وأغلقت الباب.. أخذت تنظر إلى حوائطها.. إلى سقفها التي باتت ليالي كثيرة تحدق به.. تفكر في مستقبلها.. هنا كانت تجلس تستذكر دروسها.. هنا كان فراشها هي وأخواتها.. هنا كانت تضع الحصيرة على الأرض.. هنا الطبلية التي كانت تجمعها بوالدها

وأخواتها الصغار وقت العشاء.. هنا كانت تنظر إلى حسام من النافذة.. وتدعو ربها أن يكلل حبهما بالزواج.. ذكريات استيقظت منها سريعا عندما سمعت المحامي يطرق باب الغرفة.

قال الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- يا إمبراطورة.. إنتي فين يلا محتاجينك تحت.. تتممى على المطعم.

ردت الإمبراطورة وهي تجفف دموعها:

- أيوه حاضر جاية.. انزل انت يا أستاذ عادل وأنا هحصلك على طول.

نزلت الإمبراطورة إلى المطعم.. كل ما كانت تريده ورد الإنسانة.. أن تعود مرة أخرى للمكان الذي جمعها هي ووالدها وأخواتها.. أن تسترجع بعض ذكرياتها في المكان.. كانت أيام صعبة مرهقة لكنها كانت أيام جميلة.. لم يكن المطعم ذات أهمية بالنسبة لها أو موقعه أو معداته.. لكن كان هناك شيء آخر في عقل ورد لم تصفح عنه لأحد.. إنها الذكريات التي نقشت على حوائط غرفتها بسطح المطعم.

نزلت الإمبراطورة من الغرفة إلى المطعم وهمت أن تغادر المكان.. إلا أن المعلم طاهر وفور علمه بأن ورد بالمطعم..

إِسْتَشَاطَ غَضَبا.. حضر للتو إلى المطعم.. وقف أمام الإمبراطورة وجهًا لوجه.

قال المعلم طاهر:

- انتي بتعملي إيه هنا.. امشي إطلعي بره.

ردت الإمبراطورة بصوت عالي:

- إنت بتقول إيه انت يا لي اسمك طاهر.. انا لولا عمله حساب للمكان وللحاج إبراهيم الله يرحمه كنت عرفتك شغلك صح.

وقف طاهر وبأعلى صوت وهو يشوح بيديه وقال:

- ايه بتقولي طاهر.. أنا المعلم طاهر يا بت.. انتي نسيتي نفسك ولا إيه.

ردت الإمبراطورة وهى ترفع صوتها وتلوح بيديها:

- ايه جي عامل لك هليلة ليه.. وفارد ريشك علينا.. جرى ايه.. شكلك كده انت الي نسيت نفسك يا طاهر.. بت مين يا راجل يا هزوء.. اتلم وإعرف إنت بتكلم مين.

رد المعلم طاهر وهو يشير بأصبعه إليها ببعض من الاحتقار:

- انتي فكرك يعنى الفلوس وشوية الصبيان إللي حواليكي دول.. معناها إن الروس اتساوت يا ورد.

ردت الإمبراطورة:

- أول مـرة تقـول حاجـة صـح يـا طاهـر.. لا طبعًـا متسـوتش ولاعمرهـا هتتسـاوى.. شـوف إنـت مـين وواقـف قـدام مـين.. إنـت واقـف قـدام الإمبراطـورة.. عـارف يعنـى إيـه الإمبراطـورة.

- أوعـي تفتكـر إنـي نسـيت إللـي عملتـه زمـان.. فاكـر حسـام يـا طاهـر.. فاكـر.. إنـت إللـي ورا موضـوع سـرقة الفلـوس.. ولزقتهـا في حسـام ولا فاكرنـي مـش دريانـه.

اسـتغرب المعلـم طاهـر مـن كلمـات ورد.. وقعـت علـى أذنيـه كالصاعقـة.. كيـف عرفـت الحقيقـة.. تلعثـم المعلـم طاهـر وقـال:

- إنتي بتقولي إيه.. إيه الكلام ده.

قالت الإمبراطورة:

- أوعـي تكـون فاكـر يـا طاهـر إنـي مـش عرفـة.. إنـت إللـي خططـت لكـده يـا طاهـر.. وتحـب أقـول لـك كمـان مـين إللـي دس الفلـوس في فرشـة أبـو يوسـف.. وغـدرتم بحسـام.. الـواد صبيـك صابـر حكالـي علـى كل حاجـة.. مفيـش حاجـة بتسـتخبى يـا طاهـر.

قالـت الإمبراطـورة وعيونهـا تـزداد شراسـة وهـي تتوعـد المعلـم طاهـر:

- حسابك معايا عسير يا طاهر.. أنا بس مكنتش فاضية لك.. لكن من هنا ورايح تحفظ أدبك معايا.. إنت فاهم.. لوديك ورا الشمس.. إنت لسه متعرفش أنا مين.. ولا أقدر أعمل إيه.. امشي اطلع بره ومشفش خلقتك هنا تاني.. ويا ريت في الحي كله.. عشان إما بشوفك بقيت أأرف منك ومن عمايلك.. بس مش هنسالك إللي عملته زمان يا طاهر.. إنت عملت كثير.. ومش محتاجة أفكرك.. لكن الحساب بنا يطول.

خرجت الإمبراطورة من المطعم بصحبة الأستاذ عادل السلاموني المحامي وقالت له:

- أستاذ عادل.. المطعم يفضل زي ما هو.. واليافطة كمان تسبها زي ما هي.. عليها اسم مطعم الشامي.

رد الأستاذ عادل السلاموني المحامي مستغربًا لما تقوله الإمبراطورة:

- ليه يا إمبراطورة ما ننزل اليافطة زي ما عملنا في باقي المحلات بالشارع ونركب يافطة الإمبراطورة ونتوسع.. هو إحنا وخدين المطعم عشان نقفلة.

قالت الإمبراطورة:

- زي ما قلت لك يا أستاذ عادل.. خلي كل شيء زي ما هو.. يافطة المطعم متنزلش من عليه.. ده أقل شيء نقدمة للحاج

إبراهيم الشامي الله يرحمة.. أنا هخلي المطعم دة زي ما هو.. وهقدم فيه أكلات مجانية للمحتاجين.. وأهو كله خير للناس يا أستاذ عادل.. صدقة جارية للحاج إبراهيم الشامي وأبويا شحته الراوي.

●●●

الفخ

لم يتفرقا كثيرًا أولاد الحاج إبراهيم الشامي بعد وفاة والدهم وبيع المطعم.. فما زال المعلم سليمان يتاجر بالحبوب وقد توسع في تجارته أكثر من زي قبل.. وشاركه في تجارته أخوه المعلم محمود.. كان أمورهم لحد ما جيده.. فالتجارة كانت تدر عليهم ربح وفير استطاعو من خلاله ان يحافظو على مستوى معيشتهم المترفة نوعا ما.. كما كانت معيشتهم في حياة والدهم الحاج إبراهيم الشامي.

المعلم طاهر كعادته.. أخذ ينفق نصيبه من الميراث في ملذاته من نساء وخمر.. لم يتبقَ من ماله شيءٍ.. بدأ يستدين من أخوته.. لم يبخل أحد من أخوته عليه بالمال ولا بالنصيحه مرات عديدة.. لكنه لم ينتبه لحالة ولم يتراجع عن طريق الملذات.. هجر بيته وزوجته وأولاده.. لا تكاد الكأس تفارق يده.. استدان من الجميع.. توقف أخوته عن دعمه ظنًا منهم بأن ذلك سيردعه وسيعود عن هذا الطريق.. لكنه استدان ممن حوله.. ولم يستطع السداد.. أصبح مهددًا بإيصالات الأمانة التي وقعها للدائنين.. لقد أغلق الجميع الأبواب في وجهه مؤخرًا.. فهو يقترض المال ولا يسدد.. تثاقلت عليه الديون.

المعلم ضياء أبو نسمه.. هذا الرجل كان سخيًا معه.. لم يكن يعرفه المعلم طاهر سابقًا.. حتى تعرف عليه في إحدى السهرات بملهي ليلي بشارع الهرم.. كان يعطيه كل ما يطلبه من مال.. مقابل توقيع إيصالات أمانة بتلك المبالغ.. لكن لن يتوقف عن إقراضه أي مبلغ يطلبه المعلم طاهر.. كان المعلم ضياء أبو نسمه يدعي بأنه صديق والده الحاج إبراهيم الشامي من زمن بعيد.

لن تكن الإمبراطورة بعيدة كل البعد عن ما يتعرض له المعلم طاهر من محن وأزمات مالية.. فمنذ أن قابلت المعلم طاهر بالمطعم وحاول ان يتطاول عليها.. وهي تتابعه من بعيد.. لقد أرسلت من يشتري جميع إيصالات الأمانه التي وقع عليها المعلم طاهر.. ممن استدان منهم المال.. أيضًا لم يكن ظهور المعلم ضياء أبو نسمه مصادفة.. فهو واجهة للإمبراطورة ليس إلا.. نعم كانت الإمبراطورة تمد المعلم طاهر بالمال دون أن يدري.. لتغرقه أكثر فأكثر بالديون.. تكبله وتزيد من السلاسل حول عنقه.

كانت الإمبراطورة تعي كل كلمة عندما توعدت المعلم طاهر بأنها ستنتقم منه على ما فعله معها ومع حسام.. لقد لفق لحسام جريمة السرقة وطرده من الحي.. و حاول الإعتداء عليها أكثر من مرة.. بل كان سببًا في موت والدها شحتة الراوي.. هي لم ولن تنسَ أبدًا ما فعله المعلم طاهر.

لم يستيقظ المعلم طاهر من غفوته.. فالكأس يلازمه طيلة الليل حتى لحظات الفجر الأولى.. إعتاد على السهر كل ليلة بكبارية نعيمة بشارع الهرم.. هذه الليلة أيضًا يريد أن يسهر.. لكن ليس معه ما يكفي من المال.. فالسهر وكأس الخمر وبنات الليل يحتاج الكثير من المال.

المعلم ضياء أبو نسمه.. هو الوحيد الذي يعطية المال بغير حساب.. توجه إليه بمحله بميدان الجيزة قبل أن يذهب إلى كبارية نعيمة.. في طريقه إلى شارع الهرم.. وجده كعادته يجلس أمام المحل وفي يده الأرجيلة (الشيشة).. سلم عليه وجلس بجواره.

المعلم طاهر يظهر على ملامحه بعضًا من التردد.. يموج عقله ببعض التساؤلات.. نعم لم تداعب تلك التساؤلات ذهنه في المرات العديدة السابقة التي حضر فيها إلى هنا يطلب المال من المعلم ضياء أبو نسمه.. تلك الليلة على غير عادته.. لم ينطق المعلم طاهر بكلمة واحدة منذ أن جلس بجوار المعلم ضياء أبو نسمه.. نظر إليه المعلم ضياء بإستغراب شديد.. انتظره حتى يبدأ الحديث.. فعادة المعلم طاهر أن يجلس بضع ثواني ثم يبدأ في الحديث ويطلب المال.. الآن مر عشر دقائق.. ولم ينطق المعلم طاهر بكلمة واحدة.

طبطب المعلم ضياء أبو نسمه على كتف المعلم طاهر.. قال له في صوت خافت:

- ايه يا معلم طاهر.. خير في حاجة ولا ايه.. مش عادتك يعنى تقعد ساكت كده.. في إيه كفى الله الشر.

رفع المعلم طاهر رأسة وما زالت نظراته صامته.. إلتفت إلى المعلم ضياء أبو نسمه.. وقال:

- أنت ليه يامعلم ضياء بتديني فلوس كده عمال على بطال.. ده الناس كلها ابتدت تبعد عني ومبقتش تسلفني.. ده حتى أخواتي مبقوش يسألوا فيا.. مش غريبة شوية دي.. الله يكرمك متقوليش إن الحكاية إنك صاحب والدي الله يرحمه..!

تعالت ضحكات المعلم ضياء أبو نسمه وقال له:

- يا راجل هو ده برده سؤال.. ده الناس لبعضيها.. وبعدين زي ما قلت لك.. والدك الله يرحمه له معزة خاصة عندي.. وياما غرقني بجمايله.. وإللي بقوله لك صح مفيش كلام.

- المهم إنت جي النهارده شكلك عاوز فلوس.. صح ولا أنا غلطان..؟

- قـول يـا راجـل عـاوز كام متتكسـفش.. شـكلك كـده عـاوز تفرفـش وتتبسـط الليلـة مـا هـو النهـاردة الخميـس وأنـا عرفـك مبتفوتـش ليلـة زي دي.

لـم يجـب المعلـم ضيـاء أبـو نسـمه بالحقيقـة علـى تسـاؤل المعلـم طاهـر.. فحديثـه أنـه صديـق والـده لـم يكـن مقنعًـا للمعلـم طاهـر اليـوم أيضًـا.. نعـم هـز رأسـة للمعلـم ضيـاء.. لكـن عينـاه كانـت تفصـح عـن تلـك التسـاؤلات مـرارًا وتكـرارًا.. نعـم حصـل المعلـم طاهـر علـى المـال الـذي يريـده.. لكنـه لـم يحصـل علـى إجابـة وافيـه لسـؤاله.

●●●

الصفعة

المعلم طاهر لا يغيب عن ذاكرته تلك الصفعة التي تلقاها من ورد منذ سنوات.. عندما حاول أن يعتدي عليها بغرفتها.. لتأتية الصفعة الثانية.. عندما اشترت مطعم والده الحاج إبراهيم الشامي.

عقله الشيطاني لم يكف عن التفكير.. كيف له أن يرد الصفعة صفعات إلى ورد.. لكن هذا الأمر ليس بالأمر الهين.. الآن ورد أصبحت إمبراطورة باب اللوق.. لها شأن كبير ومعارفها في كل مكان.. الكل يتمنى أن يقدم كرابينه لترضى عنه.. رضاء الإمبراطورة يعنى الكثير.

الشر ما زال كالشرر في عينيه.. أعد العدة.. خطط ودبر.. لن تسلم الإمبراطورة منه الليلة.. نعم هو الانتقام.. كان الهدف هو إحراق أكبر مستودعات الإمبراطورة، مستودع فم الخليج.. إستأجر المعلم طاهر بعض الأشقياء.. أعطاهم المال وشرح لهم خطة التنفيذ.. حذرهم بأن لايصيبوا أحدًا بأذى.. ويتجنبوا الاشتباك مع الغفراء قدر الإمكان.. فقط النيل من مستودع الإمبراطورة.

اشتعلت النار في مستودع الإمبراطورة.. لكن إرادة الله حالت دون وقوع كارثة.. لم يمتد الحريق لكامل المستودع.. فقط حريق محدود استطاع الغفير حسنين أن يستنجد بالحماية المدنية «المطافي» بالوقت المناسب.. لقد شب الحريق في غرفة الكهرباء والثلاجة الكبيرة.. لكنهم استطاعوا أن يخمدوه في حينه.

لم يكن هناك أي دليل على أن الحريق أُشعل بفعل فاعل.. لقد لعبها اليوم المعلم طاهر بذكاء شديد.. لم يترك رجاله أي أثر بالمكان.. الإمبراطورة لم تقتنع بتقرير الحماية المدنية «المطافي».. لقد سجل الحادث على أنه ماس كهربائي.. شعرت أن في الأمر شيئًا.. وليس لديها أي شك في أن الفاعل هو المعلم طاهر.. لكن عليها التأكد من ذلك.

اتصلت الإمبراطورة بمن يحاول استدراج المعلم طاهر.. كان الأمر يسير إلى حد كبير.. فالمعلم طاهر رجل مخمور معظم الوقت.. وعندما يتلاعب الخمر برأسه يحكي عن مغامراته ويتباهي دائمًا بمكرة ودهائه.. نعم لقد أفصح للبار مان وجدي «مقدم الخمر في بار نعيمة بالملهى الليلي» على أنه مدبر حريق مستودع الإمبراطورة.

اتصل البار مان وجدي.. أوصل الخبر إلى الإمبراطورة.. هزت رأسها:

- كنت متأكدة إن الموضوع وراه الكلب طاهر.. شكرًا يا وجدي.

- خلاص كده يا طاهر صبرت عليك كثير.. لكن دي نهايتك معايا.

المعلم طاهر في طريقه الليلة أيضًا إلى كبارية نعيمة في شارع الهرم.. كانت جيوبه خاوية كالعادة إلا من بعض الجنيهات القليلة.. مر على المعلم ضياء أبونسمة ليقترض منه بعض المال.. لكن اليوم لم يكن المعلم ضياء بمثل ترحابه المعتاد.. نعم صدرت الأوامر من الإمبراطورة.. بعدم إقراض المعلم طاهر أي مبالغ اضافية.. واتفقت مع المعلم ضياء أبونسمه.. أن يتصل بها عند أول لقاء له بالمعلم طاهر.

استأذن المعلم ضياء أبونسمة من المعلم طاهر:

- بعد إذنك يا معلم طاهر.. هعمل مكالمة تليفون على السريع وأجي لك.

بالفعل اتصل المعلم ضياء ابونسمة بالإمبراطورة يبلغها بوصول المعلم طاهر.. يطلب بعض المال كعادته.. أبلغ الإمبراطورة بأنه حتى الآن لم يجيب المعلم طاهر على طلبه بالقبول أو بالرفض.

قالت له الإمبراطورة:

- كده تمام يا أبونسمة.. خليه قاعد أنا جيه بالطريق.. ربع ساعة أكون عندك بالجيزة.

بدأ المعلم طاهر الحديث مع المعلم ضياء أبونسمه.. سأله عن أحوال المحل وأحوال السوق.. وكان المعلم ضياء أبونسمة يدير أطراف الحديث ويطيل بعض الشيء لحين وصول الإمبراطورة.

وفي نهاية الحديث.. طلب المعلم طاهر من المعلم ضياء بعض المال:

- معلش يا معلم ضياء.. أنا محتاج فلوس الليلة وأنا جاهز أمضي لك على وصل أمانة بالمبلغ.

تجهم المعلم ضياء أبونسمة ولم يُجب.. فقد حضرت الإمبراطورة للتو.. وسمعت ما قاله المعلم طاهر.

قالت الإمبراطورة:

- خلاص يا طاهر.. بح مفيش فلوس تاني.. وإيصالاتك عندنا منها كثير قوي متعدش.

انتفض المعلم طاهر من على مقعده.. لقد فوجئ بحضور الإمبراطورة.. كيف عرفت إنه هنا.. وما علاقتها بالمعلم ضياء أبو نسمه.. لم ينطق المعلم طاهر بكلمة واحدة.. فقط الذهول كان سيد الموقف.. لم يقوى المعلم طاهر على الوقوف كثيرًا.. عاد وجلس على مقعده.. لقد كانت مفاجأة مدوية لم يتوقعها.

قالت الإمبراطورة وهي تهز رأسها وبضحكة بها الكثير من الفخر والانتصار:

- إللي بيدور بدماغك يا طاهر.. صح.. أيوه ورد يا طاهر.. الإمبراطورة.. فاكر الوش ده كويس.. أنا حلفت يمين أمام الله.. يوم ما طلعت من المطعم إني ارجع تاني.. صاحبة المكان.. المطعم إللي طلعت منه حسام بفضيحة.. إلى حولت تعتدي عليا فيه.. اللي موّت أبويا فيه.. ومكفكش كمان رايح تحرق المستودع.. أنا الكابوس اللي هيدنو يلزمك طول حياتك يا طاهر.. والفلوس الي بتخدها كل يوم والتاني من المعلم ابونسمه.. دي فلوسي أنا يا طاهر.. قعدت أمد لك الحبل أكثر وأكثر لحد ما شنقت نفسك بيه.

- إنت عملت كثير قوي يا طاهر.. والوقت وقت الحساب.

أخذت الإمبراطورة سيارتها ورحلت عن المكان.. ترك المعلم طاهر المكان وهو ما زال في ذهول.. لم يعرف أين يتجه.. فقدماه لا تستطيعان حمله.. وقع على الأرض.. ساعده المعلم ضياء أبو نسمة ورفعه من على الأرض.. نادى على أحد صبيانه ليأخذ سيارته الخاصة ويوصل المعلم طاهر إلى بيته.. فالرجل منهار ولايستطيع الوقوف.

اتصلت الإمبراطورة بالأستاذ عادل السلاموني المحامي.. أبلغته أن يقوم بتقديم بعض إيصالات الأمانة الخاصة بالمعلم طاهر إلى قسم شرطة السيدة زينب التي أتمت الإجراءات وأبلغت النيابة بدورها وتم إحالة المحضر إلى المحكمة لتوافر أركان جريمة خيانة الأمانة.. وتم إصدار حكم غيابي ضد المعلم طاهر.. وبالفعل تم القبض عليه بشقته بالسيدة زينب ليقضى مدة محكوميته لثلاث سنوات.

توسلت الحاجة أم سليمان كثيرًا لدى الإمبراطورة أن تصفح عن ولدها المعلم طاهر.. وأن تتنازل عن قضية إيصالات الأمانة.. إلا أن الإمبراطورة صممت على موقفها.. فهي بعد الآن لن ترحم المعلم طاهر.

●●●

السلطة والنفوذ

تبدلت ملامح حي باب اللوق عن زي قبل.. لم يعد كثير من معلمي السوق و أصحاب المحلات متواجدين الآن .. أصبح هناك اسم واحد فقط في حي باب اللوق يتردد كثيرًا.. اسم الإمبراطورة.. فغالبية المحلات قد أُغلقت على إختلاف أنواعها وأشكالها.. لم يكن ذلك بالطبع هو التغير الوحيد الذي طرأ على هذا الحي.. فصوت صفارة قطار باب اللوق لم يعد يسمع في المكان.. فقد أزيلت محطة القطار بالكامل.. وتحول مسار خط حلوان باب اللوق إلى مسار جديد بين حلوان وميدان التحرير.. أنه خط مترو الانفاق.

لم يعد شارع منصور في رونقة وبريقة كما كان في الماضي القريب.. لم يعد يجذب المارة.. قلّت الحركة بالشارع.. عانى الكثير من الباعة من ضيق الرزق.. فقد الشارع آلاف المارة من العاملين والموظفين.. فالآن الجميع يتجه إلى ميدان التحرير مباشرة.. فالقطار كان يجلب معه الرزق والخير الوفير لكل حي باب اللوق.. لكن تلك هي الدنيا كما يقال في المثل الشعبي «الدنيا لاتخلي الراكب راكب ولا إللي ماشي ماشي».

لم يكن هذا الاختلاف الذي طرأ على حي باب اللوق بالنسبة للإمبراطورة بالشيء المؤثر.. فمطعم الإمبراطورة يستقطب كل يوم زبائن جدد.. وقد ذاع صيته في الأرجاء.. وتعددت أعمال الإمبراطورة.. فلم يكن مطعم الإمبراطورة هو العمل الوحيد التي تعتمد عليه ورد.. فقد تعددت أعمالها ونشاط شركاتها في التوريدات و المقاولات ومواد البناء.. الأمر الذي جعلها تترك إدارة المطعم إلى أخواتها عبادة ورقية وتتفرغ هي لأعمالها الجديدة.. الآن ورد أو الإمبراطورة سيدة أعمال تمتلك وتدير العديد من الشركات التي تحمل اسمها «الإمبراطورة».

إنها مرحلة جديدة في حياة ورد.. لقد خلعت عباءتها والشال من على رأسها.. ارتدت الفساتين من البرندات العالمية والجيب القصير والبنطلونات.. تمسك بيدها شنطة جلدية أنيقة من أغلى الماركات وأعرقها.. يتلألأ على يديها الكثير من الجواهر والألماس.. أصبحت سيدة أعمال ثرية من الطراز الأول.. تتكلم بحنكة ولباقة.. أصبحت ورد مطمع لكثير من أصحاب النفوذ والسلطة.. فثراؤها وتعدد نشاطاتها التجارية أغرى الكثير منهم.. فالمال يجب أن تساندة السلطة والنفوذ.. والسلطة والنفوذ في حاجة إلى المال الوفير.. إنه مثلث إن اجتمعت أضلاعه أصبحوا قوة لا يستهان بها وخطرًا على الآخرين وإن تفرقوا أصبحوا

خطـرًا علـى أصحابهـم بـل ويهـدد اسـتمراريتهم.. اختيـار صعـب.. لاتوافـق ولا حلـول وسـط.. شـاءت أم أبـت ورد.. فعليهـا الاختيـار.

في وسـط هـذا الخضـم والحيـاة الجديـدة التـي تعيشـها ورد.. يتقـدم إليهـا الكثيـر مـن الرجـال.. رجـال مـن كل الأطيـاف.. أصحـاب نفـوذ سياسـي.. أصحـاب نفـوذ اقتصـادي.. رجـال صناعـة.. رجـال تجـارة.. لـم يسـتثنَ أحـدًا.. فجميعهـم أثريـاء ليـس بالمـال فحسـب ولكـن أيضًـا أثريـاء بالسـلطة والنفـوذ.. الجميـع يسـعى إلـى أن يجتـذب ورد.. بـكل الطـرق.. منهـم مـن يريـد أن يتزوجهـا.. والبعـض يريـد أن يشـاركها في بعـض نشـاطاتها التجاريـة.. ومنهـم مـن يحـاول أن يبتزهـا علانيـة.. وآخـرون يسـعون إلـى أن يكونـو ولـو سماسـرة تحـت الطلـب.

إن رجـال هـذا المجتمـع الجديـد التـي دخلتـه ورد مـن أوسـع أبوابـه هـم مـن رجـال السـلطة والنفـوذ.. وبعـض منهـم أقـل مـا يقـال عنهـم أنهـم فاسـدون.. تجمعـوا حـول ورد كالوحـوش المفترسـة.. ظنًـا منهـم أن ورد أصبحـت فريسـة وصيـدًا سـهلاً في مجتمـع جديـد لاتعـرف خباياه.

لـم تنتبـه ورد كثيـرًا لتلـك المحـاولات في بـادئ الأمـر.. ومـن المؤامـرات التـي تحـاك حولهـا.. ومـن إغـواء البعـض لهـا بالسـلطة والنفـوذ.. شـعرت ورد بكثيـر مـن الغربـة في هـذا المجتمـع.. فـلا أحـد بجوارهـا.. لقـد عانـت كثيـرًا إلـى أن وصلـت لمـا هـي عليـه الآن..

لقد أُغلق قلبها منذ زمن بعيد على حب حسام.. إنها الآن امرأة مادية.. امرأة دون قلب.. امرأة بلا حب.. عليها أن تستمر في طريقها .. تصعد السلم إلى منتهاه.. وها هي الظروف تتهيأ لها.. فالطريق مفروش بالورود.

ورد ما زال يسكن داخلها تلك الفتاة.. تلك البنت الريفية.. البنت التي أحبت.. فعندما كانت تخلو إلى نفسها لا يشغلها سوى شيء واحد.. فقط هو حسام.. تتذكر حبيبها و تناجيه.. فهو من ملك القلب.. وأعطي للحياة حينها على الرغم من قساوتها بهاءًا وروحًا جميلة.

كانت دائمًا ما تناجي حبيبها وتقول:

بفراقك يا حبيبي.. غابت عني ملامحي.. والقلب أصبح باردًا بعدما كان دافئًا ملئ حبك.. غابت عني عيونك .. حرارة يدك.. حنان صدرك.. لهفتك.. غرامك وصدق عشقك ومشاعرك.. حلاوة لقاءك.. كلمة أحبك عند كل موعدًا.. آه من لوعة فراقك.. وكيف لقلبي أن يعيش بعد هجرك.. وكيف لي بعد اليوم أن أضحك وقلبي ملأه الحزن والعيون باكيه .

ورد الآن تفكر جيداً.. فما لها سوى أن تغلق قلبها على حبها وأن تنتبه إلى أعمالها.. فالطريق ما زال طويلاً.. عليها الاحتفاظ بهذه الإمبراطورية التي كونتها من شركات وعقارات.. نعم ما ينقصها الآن هو النفوذ ويا حبذا أن تكون السلطة والنفوذ معًا.

أدركت ورد مدى حماقتها عندما لم تبالي بالأيادي التي امتدت لها لتعاونها.. لتأخذها إلى أعلى درجات السلم.. نعم لم تكن جميعها حسنة النوايا.. لكن هذا هو طريقها وقد يكون هو الوحيد إلى السلطة والنفوذ.

أحمد بك حافظ.. رجل من أصول ارستقراطية.. والده وجده ممن يطلق عليهم «الإقطاعيون» من أصحاب الثروات الطائلة بعصر ما قبل ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام اثنين وخمسين.. إلا أن أحمد بك حافظ ورث الكثير بعد أن عادت معظم الأراضي والعقارت لملكيته بعد فك الحراسة عن ممتلكات عائلته أخيرًا.

لم يسبق لورد أن تعرفت علي أحمد بك حافظ.. إلا أنه فى إحدى حفلات السمر التي كان يحضرها بعض الأثرياء بفيلا رجل الأعمال المعروف حسنين الجندي.. التي تقع على ضفاف النيل بالجيزة.. انبهرت ورد بمنظر نهر النيل من تراس الفيلا.. أخذت تتأمل في ليل القاهرة الساحر.. إلا أن سمعت صوت يهمس بجوار أذنها:

- الجو اليوم بديع يا هانم.

لم يسبق لورد أن سمعت مثل هذا الصوت من قبل.. إلتفتت ونظرت.. من هذا الذي يقترب منها ويبدأ الحديث معها.. فهي لم تعتاد بعد على حياة القصور وحفلات السمر والتودد إلى الناس بهذه السهولة.. وقالت ورد وهي تنظر إليه بأستغراب:

- أهلاً وسهلاً.. سعادتك تعرفني.

رد أحمد بك حافظ:

- لا يا هانم للأسف مسبقش إني تشرفت بسعادتك قبل كده.. لكن أحب أتعرف.

ابتسمت ورد:

- أنا أسمي ورد.. وأحيانًا بيلقبوني بالإمبراطورة.. وسعادتك مين.. متشرفتش باسمك.

رد أحمد بك حافظ:

- أنا أحمد حافظ.. وأحيانًا بيلقبوني بأحمد بك حافظ.. رجل أعمال وعضو بحزب الأغلبية.. أكون محظوظ لو كنتي سمعتي عني قبل كده.

ترددت كثيراً ورد في إجاباتها.. وأخذت تفكر لوهلة.. نعم الاسم ليس غريبًا.. فقد سمعته ورد قبل ذلك عدة مرات.. تردد كثيرًا في الأعلام.. إنه رجل معروف ومن أباطرة صناعة الأسمنت بمصر.. وعضو بارز في حزب الأغلبية.. ردت ورد وهي تمد يدها لتصافحه:

- صحيح يا أحمد بك.. أكيد سمعت عن سعادتك.. أنا معظم مشاريعي وتجارتي في المقاولات.. ومصنع سعادتك يمتلك أكبر خط إنتاج للأسمنت بالبلد.. ده طبعًا بخلاف شهرة ووضع سعادتك في الحزب.

لم يأخذ أحمد بك حافظ وقتًا طويلاً في التودد إلى ورد.. فما أسرع رجال الأعمال في عقد الصفقات.. أصبحت ورد بين ليلة وضحاها أكبر موزعي الأسمنت بالقاهرة الكبرى.. كان الهدف أن يتم عقد الصفقات والاتفاقات بين منتجي الأسمنت بمصر وتحديد حصص الموزعين.. على أن تكون ورد صاحبة الحصة الأعلى.. أحمد بك حافظ أبرز ممن يتحكمون بسوق مواد البناء.. تحديد الأسعار.. تحديد الكميات.. تعطيش السوق في بعض الأحيان.. وصل الأمر إلى إصدار القرارات المنظمة لعملية استيراد الأسمنت من الخارج ووضع رسوم إغراق عليها.. حتى يكون أحمد بك حافظ في مأمن هو وأصدقاءة من رجال الأعمال.. فهم يديرون الدفة حسب مصالحهم الشخصية.

زادت ورد من ثراءها.. أصبحت تتقن اللعبة جيدًا.. تتعامل مع الكثير من رجال الأعمال ورجال الصناعة.. توددت أكثر فأكثر إلى أحمد بك حافظ.. تجمعهم الآن صداقة ومصالح مشتركة.. عرض عليها أحمد بك حافظ أن ترشح نفسها في انتخابات مجلس الشعب.

بقولك إيه يا ورد هانم:

- ليه مبتفكريش ترشحي نفسك بمجلس الشعب.. الأمور بالنسبة لك سهلة وبسيطة والنجاح مضمون.. المال موجود.. النفوذ موجود.. الحزب هيدعمك وأنا هساعدك أكيد في ده.. والأصوات موجوده.. حتى اليفط والدعاية ممكن نجهزها من دلوقتي لو حبه.

ضحكت ورد وقالت:

- معقول يا أحمد بك.. حتى اليفط جاهزة.

رد أحمد بك حافظ وهو يهز رأسة وينفخ دخان سيجارة الكوبي في الهواء:

- ليه لا.. تحبي تفوزي بنسبة أد إيه يا ورد هانم.. دى كمان أضمنها لك... تحبي ٩٣٪ مثلا.. أعتقد نسبة معقولة.

ورد لم تأخذ الحديث بجدية كافية حتى الآن.. اعتقدت أن الأمر مجرد مزحه.. ضحكت ورد وقالت:

- ها.. ها.. ها.. لا لا مبحبش رقم ٣ خالص يا أحمد بك.. خليها ٩٠٪ تبقى معقولة.

قال لها أحمد بك حافظ:

- خلاص تمام.. ابتدي أرتب أنا.. ناجحة بإذن الله.. سيادة النائبة.

نظرت له ورد بإستغراب شديد وقالت:

- معقولة.. إنت بتتكلم بجد ولا إيه يا أحمد بك.

قال لها أحمد بك حافظ:

- ايوه بجد يا ورد هانم.. ليه بتقولي كده.. مش واثقة في أحمد بك حافظ ولا إيه.

ردت ورد وعلى وجهها ابتسامة بها بعض السخرية تعكس عدم إدراكها بعد لجدية الموضوع.. إنها مازالت غير مقتنعة بما يدور من حديث مع أحمد بيك حافظ عن ترشحها للإنتخابات:

- أنا فكرة سعادتك بتضحك مش أكثر.. مجلس الشعب ومضمون نجاحي كمان.. ! هجيب منين ناس ينتخبوني.. وفي أي دائرة.. معقول يا أحمد بيك الأمور بالبساطة دي..!؟

قال لها أحمد بك حافظ:

- أكيد مش بالبساطة دي يا ورد هانم لأي حد.. على العموم إحنا مش محتاجين ٩٣٪ أو ٩٠٪ مع إننا نقدر نعملها وكل شيء في إيدينا.. لكن إحنا عشان نضمن النجاح من أول دور وبدون إعادة أعتقد ٥٠٪ تكون كفاية جدًا.. لأن مش هيكون أقل من مرشحين اثنين أو ثلاثة قدامك أبدًا.. ومش محتاجين نصرف فلوس كثير على الفاضي.. إنتي واحدة مننا دلوقتي ودخولك مجلس الشعب هيفيدك وهيفدنا كمان.

قالت له ورد ومازالت ملامح الذهول تطغو على وجهها:

- أنا بجد لسه مش مصدقة.. معقول ده...؟!

قال أحمد بك حافظ:

- أنا هشرح لك بعض الأمور بس مش كلها في أسرار محدش لازم يعرفها.. الأصوات معروف ثمنها كام.. كل صوت بياخد مش أقل من ٢٠٠ جنية.. بالطبع في أقل من كده.. لكن انا مبحبش ادخل في رسك «مخاطرة» في المسائل دي بالذات لأنهم مش مضمونين.. كمان في مجموعة ممكن نجمع منهم بطايقهم وممكن نستخدمها أكثر من مرة حسب طبيعة اللجان.. وبنرجعها لهم تاني يوم.. ومعانا مجموعة ثالثة بتغير محل إقامتها إلى محل إقامة داخل الدائرة الانتخابية بتعتك وبيكون ده في فترة قبل

الإنتخابات عشان محدش يلاحظ حاجة وغالبيتهم بيكونو من القرى والنجوع.. مع إن كل شيء بأيدنا.. بس أنا بحب كل حاجة تتعمل صح.. ودول بنتصرف ليهم بعدد من الشقق بالمنطقة بعقود إيجار.. وطبعًا في مجموعة بنديهم بعض المعونات.. يعنى الأشياء العينية.. بطاطين رز سكر.. ودول كثير قوي.. يعنى أضمن لك مش أقل من ٩٠ ألف صوت.. وإنتي الدايرة كلها على بعضها ٢٥٠ ألف صوت.. نسبة مشاركة نقول ٧٠٪ يعنى نجاحك مضمون.. أصواتك هتكون في حدود الـ ٥٠٪ أو أكثر شوية.. يا ترى قدرت أوصلك المعلومة.. أنا وضحت لك بصفة عامة لكن في أمور مش مهم تعرفيها دلوقتي وهيجي وقتها.

ردت ورد في دهشة من أمرها:

- معقول.. معقول كل ده بيحصل.

قال أحمد بك حافظ:

- أُمال معناه إيه حزب الأغلبية يا ورد هانم.. وضحك بصوت عالي ها.. ها.. ها.

- على فكرة فكرتيني.. في مناقصة توريد قطع غيار للمصنع من ألمانيا.. حبك تدخلي فيها.. ربحها معقول.. والأمور أنا مظبطها علشانك.. مش أقل من ٥٠ مليون يورو.. ونتحاسب بعدين.

●●●

أيام صعبة

رن الهاتف في ساعة متأخرة من الليل بفيلا ورد.. استيقظت ورد من نومها.. رفعت سماعة الهاتف:

- مساء الخير يا فندم.. مع حضرتك النقيب شريف المصري الظابط المناوب بقسم شرطة قصر النيل.. في بلاغ عندنا بحادث سيارة.. سيارة مقلوبة على الكورنيش.. الدورية إتعرفت على اسم قائد السيارة من البطاقة الشخصية ورخصة القيادة.. اسمها رقية.. والعنوان على فيلا حضرتك.

ردت ورد على الفور:

- رقية.. خير يا حضرة الظابط حصل لها حاجة.

رد الظابط شريف المصري:

- هي دلوقتي اتنقلت لمستشفى الإمام الدولي.. ومعاها بنت تقريبًا في نفس عمرها كانت جنبها بالسيارة.. حضرتك إطمني عليها الأول بالمستشفى.. وبعدين تتفضلي تشرفينا في قسم قصر النيل.. لأن أخت حضرتك والبنت إللي معاها كان معاهم زجاجة خمرة بالسيارة.. ومرجح إنهم كانوا في حالة سكر وقت وقوع الحادث.. ومنتظرين تقرير المستشفى.

أغلقت الهاتف وعلى الفور ارتدت ورد ملابسها.. اتصلت بالأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- أيوه يا أستاذ عادل.. اسمعني كويس رقية اتقلبت بيها العربية.. ولسه ظابط مكلمني حالاً من قسم شرطة قصر النيل.. أنا هروح دلوقتي على مستشفى الإمام الدولي أطمن على رقية.. وإنت اطلع على قسم شرطة قصر النيل شوف إيه الموضوع.. الظابط بيقول إنها احتمال كانت سكرانة وهي بتسوق وكان في واحدة معاها كمان بالعربية.. أنا مش فاهمه إيه الحكاية.. بس ياريت يا أستاذ عادل خلى الأمور تحت السيطرة مش عوزة حد يعرف أي حاجة عن الموضوع ده.. وشوف ممكن نكلم مين بالداخلية عشان نلم الموضوع.. أنا مش عوزة شوشرة.. الله يستر بس.

دقائق معدودة ووصلت ورد إلى مستشفى الأمام الدولي.. رقية دخلت غرفة العمليات فور وصولها.. لديها إصابات متعددة في الصدر والرقبة.

جلست ورد مع طبيب مختص بالمستشفى ليشرح لها حالة أختها رقية:

- دي حضرتك إصابة في القفص الصدري والرقبة.. وبعض الردود في أنحاء متفرقة من جسمها.. المهم دلوقتي بيحاولوا

يوقفوا النزيف الداخلي.. ويعملو اللازم.. لكن اطمني حضرتك إن شاء الله الأمور بسيطة متقلقيش.

ثلاث ساعات داخل غرفة العمليات.. مرت على ورد في غرفة الانتظار كأنها دهر.. أخيرًا خرج فريق الأطباء من غرفة العمليات.. سارعت ورد إليهم تستوقفهم.. تحاول أن تفهم أي شيء منهم.. قال لها رئيس الفريق الأستاذ الدكتور مجدي الإمام مدير المستشفى:

- الحمدلله إحنا عملنا إللي علينا ووقفنا النزيف.. اتفضلي حضرتك بالمكتب أنا جي حالاً.

جلست ورد بغرفة مدير المستشفي.. ماهي إلا لحظات ودخل الأستاذ الدكتور مجدي الإمام:

- شوفي يا ورد هانم.. الحمدلله زي ما قلت لحضرتك وقفنا النزيف والإصابة كانت قريبة جدًا من العمود الفقري.. لكن ربنا ستر والحمدلله.. أمورها طيبة لكن هتقعد عندنا فترة بالمستشفى لأن في ضلعين مكسورين.. والباقي كدمات مفهاش أي مشكلة.. اطمنى وأحمدي ربنا الحادثة كانت كبيرة مش صغيرة.. البنت إللي جت معاها حالتها أصعب من رقية بكثير لكن الحمدلله هي دلوقتي أحسن شوية.. على فكرة في نقطة لازم تعريفها.. نسبة

الكحول في تحليل الدم إللي عملناه عالية جدًا.. أنا بتكلم طبعا بالنسبة للآنسة رقية وكمان البنت إللي جت معاها في الحادث.. أنا حبيت أبلغك بالموضوع ده بيني وبينك.. لأن عادة قسم الشرطة بيطلب تقرير عن الحادث.. إحنا طبعا مش هنقدر إلا أننا نزودهم بالتقارير كلها عن الحالة.. بس حبيت أبلغك تكوني عملة حسابك.

ردت ورد وهي تحاول أن تأخذ بعضًا من أنفاسها وتقلل توترها:

- الحمدلله.. الحمدلله.. لا تمام يا دكتور أنا هتصرف في النقطة دي.. أهم حاجة بس رقية تقوم بالسلامة.

كان في ذلك الوقت الأستاذ عادل السلاموني المحامي قد وصل إلى قسم شرطة قصر النيل.. توجه مباشرة إلى مأمور القسم.. اتصل باللواء الغندور صديقة بالداخلية يحاول بقدر الإمكان التكتم على هذا الحادث وعدم تحرير محضر بالواقعة.. خاصة عندما علم أن هناك شكوك في كون رقية ومن كانت معها في حالة سكر.. القصة إنّ وصلت إلى الصحافة وخاصة الصحافة المعارضة ستكون مشكلة كبرى.. ورد مرشحة لعضوية مجلس الشعب.. والانتخابات على الأبواب.. وأي خبر مهما كان بسيط عن الحادث سوف يسيء لها بلا أدنى شك.

بالفعل نجح الأستاذ عادل السلاموني المحامي في التكتم على الحادث وخرج من قسم شرطة قصر النيل.. وتوجه إلى مستشفى الإمام الدولى.

عبادة وصل للتو إلى المستشفى ليجد رقية في غرفة العناية المركزة.. ذهب على الفور إلى غرفة مدير المستشفى.. ليجد ورد جالسة هناك مع مدير المستشفى.. جلس عبادة معهم بضع دقائق.. ثم استأذن الأستاذ الدكتور مجدي الإمام:

- طيب استاذن أنا أمر على المستشفى وخدوا راحتكم.. ويا أستاذ عبادة أنا شرحت لورد هانم كل التفاصيل.. متقلقوش الأمور طيبة.

قالت ورد وعيناها مليئة بالدموع:

- شفت إللي حصل.. شفت إللي حصل يا عبادة.. رقية لسه صغيرة وتعمل حادثة بالشكل ده.. كسر بالضلوع.. والنصيبة أنها كانت سكرانه.. من إمتى إحنا نعرف طريق الخمر والكلام الفاضي ده.. دي أمور ميتسكتش عليها يا عبادة.. لازم يكون لينا وقفه مع رقية بس تقوم بالسلامة.

طبطب عبادة على كتف أخته ورد وضمها وقبَّل رأسها:

- الحمدللّه جت على أد كده.. العربية مدمرة.. الحادثة مكنتش سهلة.. ربنا يقومها بالسلامة.

ردت عليه ورد:

- الحمدلله الحمدلله قدر ولطف.. آه صحيح عوزين نعرف مين يا عبادة إللي كانت معاها بالعربية.. عوزين نعرف دي مين وإيه حكايتها.. مش عوزين شوشرة على رقية.

طرق الباب الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- السلام عليكم أستاذ عبادة.. إزيك يا ورد هانم.. معلش قدر الله وما شاء فعل.. أنا على العموم ظبطت كل حاجة بقسم شرطة قصر النيل.. محدش خد خبر بالحادثة ومفيش محضر.. بس لازم نعرف مين البنت دي إللي كانت مع رقية بالعربية بسرعة.. نراضي أهلها باي شكل.

قالت ورد:

- الدكتور فعلا بلغني من شوية إن البنت دي موجودة هنا بالمستشفى.. أنا لسه كنت بتكلم مع عبادة بالموضوع ده.. شوف إنت الموضوع يا أستاذ عادل.. إحنا مش فايقين خالص.. موضوع رقية ده مش سهل.. ربنا يشفيكي يا أختي.. ويسامحك.

قال الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- أنا هنزل تحت أشوف في إدارة المستشفى مين البنت دي.. وهعمل اللازم.

ردت عليه ورد:

- لو احتاجت أي مصاريف علاج يا استاذ عادل مفيش مشكلة وحتى لو تراضي أهلها.. أهم حاجة مش عوزين محاضر ولا أي شيئ.. إنت عارف خلاص الإنتخابات على الأبواب.

قال الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- متقلقيش يا ورد هانم.. أنا هعمل اللازم.

رقية تلك الفتاة البسيطة التي بدأت حياتها في غرفة فوق سطح المطعم لم تكن طبيعتها تختلف كثيرًا عن طبيعة ورد في فترة طفولتها حتى صباها.. نعم بحكم سنها الصغير كانت تتلقى حبًا وعطفًا أكثر من والدها شحتة الراوي ومن أختها ورد.

ورد تشعر دائمًا بالمسئولية تجاه أخواتها على الرغم من كون أخوها عبادة الآن شاب في مقتبل العمر ويشاركها في مجال التجارة.. ومسئول عن بعض شركاتها المتخصصة في مجال العقارات ومواد البناء.. وأختها رقية كبرت الآن لم تعد تلك الفتاة الصغيرة.. وحجم المسئوليات الملقاة على عاتق رقية ليس أيضًا بالأمر اليسير.. فهي تدير مطعم ومحلات الإمبراطورة في شارع منصور.

ورد لـم تشـعر يومًـا بالإرتيـاح لطريقـة تفكيـر أختهـا الصغـرى رقيـة أو تطلعاتهـا.. لكنهـا كانـت تقـول في سـريرتها « بكـرة تكبـر وتعقـل وتعـرف الدنيـا مشـيه إزاي» فقـد تغيـرت كثيـرًا رقيـة منـذ أن بـدأ مطعـم الإمبراطـورة يجلـب المـال الوفيـر ويتوسـع ليمتلـك معظـم محـلات شـارع منصـور.. ثـراء ورد وأخواتهـا.. انعكس سـلبًا علـى تصرفـات رقيـة.. تغيـرت بعـض الشـيء في طريقـة تعاملهـا مـع الآخريـن.. عمـال المطعـم.. الطباخـين.. الصبيـان.. تعامـل فيـه شـيء مـن الغلظـة.. نعـم قـد يكـون مـن الطبيعـي أحيانًـا التعامـل مـع المرؤسـين بالشـدة والحـزم لتسـيير أمـور العمـل.. لكـن لـم يكـن تصـرف رقيـة نـوع مـن الشـدة أو الحـزم بقـدر مـا شـعرت ورد بأنـه نـوع مـن التعالـي والتكبـر الـذي يصـل أحيانًـا إلـى الغطرسـة والتفـوه بألفـاظ نابيـة بصفـة دائمـة.

رقيـة دائمًـا مـا تتباهـى بالمـال والثـروة التـي باتـت تعيـش بهـا هـي وأخواتهـا.. كانـت تنفـق دون حسـاب بـلا وعـي.. اجتذبـت أصدقـاء انتهازيـين.. وطـاف في فلكهـا الكثيـر مـن المنتفعـين.. يحاولـون أن يعطوهـا هـذا المجـد الزائـف التـي تتطلـع إليـه.. والفخـر بحسـبها ونسـبها.. كمـا كانـت تدعـي وتخفـي حقيقتهـا المتواضعـة.. إنهـا ابنـة الفـلاح البسـيط وعامـل المطعـم شـحتة الـراوي.. كانـت تختبـئ وراء المـال.. تتـوارى خلـف قنـاع مزيـف.

كان من الواضح أن رقية تعاني من حالة نفسيه ما.. إحساسها وهي صغيرة بالضعف والمهانة كونها ابنة شحتة الراوي العامل بمطعم الشامي.. تعاملها مع زميلاتها بالمدرسة لكونهن على علم بمستواها الاجتماعي المتواضع.. فصديقاتها دائمًا ما يقصدون إحراجها والتعالي عليها في أي فرصة سانحة.. شعرت رقية من صغرها بعقدة النقص تلك.. أصبحت تطاردها إلى الآن.. لا تستطيع التخلص منها.

هل الفقر أحيانًا رادع للنفس البشرية.. ؟! مهذب لشهوات الإنسان وتطلعاته.. ؟! هل المال إن قل أو كثر يغير في طبيعة البشر.. ؟

أسئلة كانت تطرحها ورد ولن تجد لها إجابة.. كانت تخشى من تغير في سلوك وتصرفات رقية إلى أبعد من ذلك.. وأن يأخذها إلى طريق مظلم.. فهي لم تكن أبدًا تلك الفتاة التي تشاهدها ورد الآن.. لقد تغيرت رقية كثيرًا.. أصبحت في خطر حقيقي.

ازداد قلق ورد يومًا بعد يوم في الفترة الأخيرة على أختها رقية.. خاصة بعدما ابتعدت ورد عن أعمال المطعم وبدأت تنتبه لعملها في هذا الوسط الجديد.. وسط رجال الأعمال الذي شغلها كثيرًا.. وأعطت أختها رقية جميع الصلاحيات لتدير محلات

الإمبراطورة.. لكن كانت ورد من وقت لآخر تتابع عن طريق الهاتف أعمال مطعم الإمبراطورة.. ودائمًا ما تلاحظ انصراف أختها رقية مبكرًا عن مواعيد إغلاق المحلات.

رقية تسهر كل ليلة مع مجموعة من صديقاتها.. لم تكن رقية تعرفهن من قبل.. لكنهم تودود إليها مؤخرًا وأصبحو يلازمونها في كل سهراتها.. رقية تنفق ببذخ.. فهي الآن تملك الكثير من المال.

وقع لرقية ما كانت تخشاه ورد.. تهورها واستهتارها في الفترة الأخيرة.. الحادث الأليم الذي تعرضت له رقية.. من الممكن أن يكون انذار لها و انذار لورد وعبادة.. على ورد الآن الانتباه لأختها رقية أكثر من ذي قبل.. انشغال ورد بأعمالها قد انعكس بالسلب على رعايتها لأخواتها.. حتى لو كان أخواتها في ريعان الشباب.. فما زالت هي الأخت الكبرى المسئولة عن أخواتها.. وخاصة أختها رقية.

ما هي إلا بضعة أيام وخرجت رقية من المستشفى بصحة جيدة.. رحبت بها ورد في بادئ الأمر.. لكن ورد لن تصمت كثيرًا.. فما عانته في الفترة الأخيرة خلال تواجد أختها رقية بالمستشفى لم يكن بالشيء الهين.. نهرتها ووبختها بشدة:

- إنتي إيه يا رقية.. إنتي مش حاسه إللي إنتي فيه.. سهر كل ليلة.. ومصاحبة ناس عمرنا ما شفناهم ولا عرفناهم.. ناس

مش شكلنا خالص.. انتي نسيتي نفسك ولا إيه.. إنتي نسيتي إنتي بنت مين.. شحته الراوي فكراه.. فكرة أول ما جينا مصر.. كنتي بجلبية مقطعة ومسكة في جلبية أبوكي.. نسيتي.. أوعاكي تنسي أصلك.. مش عشان ربنا إدانا وأكرمنا يبقى خلاص هنبعزق فلوسنا في السهر والكلام الفارغ.. وتعالي قولي لي هنا إيه حكاية الخمرة دي.. كمان خمرة يا رقية.. خمرة...!

لم تتفوه رقية بأي كلمة.. كانت صامته.. منحنية يعلو وجهها الخجل.. تستمع إلى كلمات أختها ورد.. فقط تنصت وتهز رأسها.

رقية تعي تمامًا كل كلمة قالتها أختها الكبرى ورد.. شعرت بخطئها.. تأسفت لورد كثيرًا وقالت:

- أنا عرفه وفهمه كل إللي إنتي قلتيه.. أنا آسفه يا ورد.. آسفه بجد إني محترمتش ذكري أبونا ولا أصلنا الطيب.. لكن يا ورد أنا كان نفسي أعيش.. بجد أعيش وأجرب يعني إيه فسح وسهر.. عيشة ولاد الذوات.. متزعليش مني يا ورد.. خلاص الحمدلله إن ربنا نجاني من الحادثة دي.. ده كان انذار.. وانذار شديد إني مش مشية في الطريق الصح.. متزعليش مني يا أختي.

ارتمت على صدر ورد.. احتضنتها ورد والدموع تنهمر من عينيها وقالت:

- حبيبتي يا رقية انا بكلمك عشان مصلحتك.. والحمدلله إنك عرفتي إن طريقك كان غلط.. انتبهي لحالك وشوفي شغلك.. والحمدلله ربنا ستر.

ورد ما زالت منشغلة بعالمها الجديد.. وهي تعرف الأيام جيدًا.. لا تعطي كل شيء.. فكما أعطت لورد المال والسلطة والنفوذ.. أخذت منها أيضًا الغالي والنفيس.. والدها شحتة الراوي وقبل ذلك والدتها شوقية.. وأيضًا حب حسام الذي لا ينسى.

لقد خرج حسام من حياتها.. بقرار منها.. لكن مازال حبه يغزو قلبها.. حاولت أن تبحث عنه في كل مكان.. لكن أخباره قد انقطعت منذ آخر لقاء بينهما.. كل ما وصل إليها من أخبار هو وفاة والده أبو يوسف.

كم تمنت ورد أن تجد حبيبها حسام.. كانت مخطئة عندما قررت أن تبتعد عنه.. كان قرارًا غير صائب ندمت عليه ورد أشد الندم.. حسام هو الرجل الذي ملأ قلبها بالحب.. وعاشت معه أجمل اللحظات.

في الليل عندما تغفو ورد إلى النوم.. يأتي فارس الأحلام.. حسام على فرسه الأبيض.. يأخذها بعيدًا وسط السحاب.. يقبل يديها يحتضنها.. يرقصان بين النجوم.. خلف السحب وسط

الغيوم.. تنام على صدرة حتى بزوغ الفجر.. تستيقظ من نومها.. تبحث عن حسام بجوارها على فراشها.. تتحس أن كان ما زال هنا حولها.. لحظات تعيشها ورد كل ليلة.. إنه الحلم الجميل.. الذي يأتيها في منامها .. حلم قد أضاعته.. ويا ليته يعود.

العصفور تأخر كثيرًا لم تراه ورد منذ سنوات.. إنه صديقها.. إنه البشرى.. الأمل الذي تنتظرة يأتي على جناحية.. في زقزقته حديث ووعد بلقاء الحبيب.. أين أنت أيها العصفور..؟

ورد من وقت لآخر كانت تترك سيارتها وتترجل في نفس المكان التي كانت تواعد به حسام.. شارع التحرير أمام مكتب بريد باب اللوق.. شارع شريف.. ناصية شارع عدلي.. هنا كانت تقف معه.. وهنا كان يمسك يدها ليضمها إلى صدره.. هنا كانا يأكلان الأيس كريم.. وهنا كانت خطواتهم تتباطأ.. ظنًا منهما أن عقارب الساعة تستجيب لأمنياتهم.. لتتباطأ هي الأخرى وتتبع خطواتهم.. كانا يداعبان ظلهما.. وكم من مرة داعب حسام ضفائر شعرها الأحمر.. وكم من مرة ضمها في أوقات الشتاء.. هنا تبللت معاطفهما القديمة.. تحت تلك الشجرة رسما قلبا صغيرًا لم يمحه الزمان.. الأنفاس ما زالت عالقة بالمكان.. كل خطوة مشوها ظلها ما زال هنا.. الكلمات صداها لا يزال بين الجدران.. حتى وجوه المارة كما هي لم تتبدل منذ أن كانت هنا

هـي وحسـام.. شـعرت بـأن عيـون المـارة تمتـلأ بكثيـر مـن الأسـئلة وبعضًـا مـن الحيـرة.. أنهـم ينظـرون إليهـا.. نعـم يعرفونهـا.. نعـم تلـك هـي الفتـاة.. تلـك هـي ورد.. أيـن يـا تـرى حبيبهـا حسـام.. إلـى أيـن وصلـت قصـة حبهمـا.. لا أحـد يعـرف.. ورد أيضًـا لا تعـرف.. لقـد أضاعـت حبهـا.. وأغلقـت قلبهـا مـن وقـت بعيـد.

تعـود ورد مـرة أخـرى إلـى سـيارتها.. تذهـب إلـى الفيـلا.. تفتـح بـاب غرفتهـا.. تسـتلقي علـى فراشـها.. تحتضـن وسـادتها.. تغمـض عينيهـا.. مـا زالـت الأسـئلة حائـرة.. أيـن حسـام..؟ أيـن حبهـا الضائـع..؟ إلـى أن تخلـد في نـوم عميـق.

●●●

سيادة النائبة

أحمد بك حافظ على حق.. لقد نجحت ورد بالانتخابات البرلمانية.. أصبحت اليوم نائبة بمجلس الشعب.. هنأها الجميع.. حفل صاخب في فيلا أحمد بك حافظ.. دعا به كل رجال الدولة وأعضاء الحزب.. احتفاءً بالنائبة الجديدة ورد.

الآن الأبواب تفتح على مصراعيها.. لا أحد يقف في وجه النائبة ورد.. ازدادت قوة ونفوذًا.. الحصانة البرلمانية.. وتجارتها الناجحة.. ومعارفها من الوجهاء ورجال الأعمال ورجال الحزب الأقوياء.. أنه المال والسلطة والنفوذ كما أرادت.

صعدت ورد السلم سريعًا.. لم تمهل نفسها بعض الوقت لتفكر.. فالخطوات تتسارع.. خطوة تلو الأخرى.. والطريق مفروش بالورد.

بالأمس القريب كانت فتاة بسيطة صاحبة عربة مأكولات.. ثم صاحبة مطعم الإمبراطورة ومحلات شارع منصور.. شركات المقاولات.. شركات مواد البناء.. توزيع الأسمنت.. البورصة.. صفقات بملايين الدولارات.

مع مطلع شمس كل يوم جديد تزداد ورد ثراء وسلطة ونفوذًا.. لقد حققت كل ما تتمناه ومالم يخطر على بالها يومًا ما.. فقد آتتها الدنيا بالكثير.. لقد أصبحت امرأة ثرية قوية وذات نفوز.. لكنها مازالت امرأة بلا حب امرأة بلا قلب.

افتقدت حسام كثيرًا.. حبها الوحيد.. الذي لم ولن تنساه أبدًا.. لم تنسَ أيضًا ذلك العصفور الذي كان يأتي مغردًا.. مبشرًا بلقاء حبيبها حسام.. افتقدت كل شيء جميل.. تلك المشاعر.. تلك الأحاسيس.

أصبحت ورد واحدة من الوجوه المألوفة بالمجتمع الراقي.. تقف في الصفوف الأولى بين الصفوة من رجال السياسة وأصحاب الأعمال.. على الرغم من ذلك لم تنسَ ورد يومًا أصلها الريفي البسيط.. كانت دائما تتذكر غرفتها الصغيرة على سطح المطعم.. وأيام جلست تستذكر دروسها على الطاولة الصغيرة وراء الباب.. أيام كانت تذهب إلى المدرسة بحذاء ممزق هزيل.. وشنطتها الصغيرة التي تمتلأ بالثقوب أكثر مما تمتلأ بالكتب والكراريس.

ورد تمتلك كثيرًا من التناقضات.. فهي امرأة قوية.. حازمة.. ثرية.. صاحبة سطوة ونفوذ.. و في نفس الوقت.. هي البنت الريفية.. البنت البسيطة.. صاحبة القلب الذي أحب.. إنسانة صنعتها الظروف والأحداث.. لم تتطلع يومًا إلى الثراء أو إلى

السلطة والنفوذ.. بالقدر التي كان كل ما يدور بخاطرها وتحلم به.. أن تعيش على القليل هي وأخواتها.. مستورة الحال.

صعود نجم ورد المتسارع.. لم يكن إلا واجهة لأشخاص آخرين.. استخدموا ورد كدمية.. كوجه يختبؤون خلفه.. ليلعبو من خلف الستار بكل حرية واطمئنان.. الصفقات المشبوهة.. وطلبات الاستيراد من الخارج.. كانت تدخل جميعها تحت اسم شركات الإمبراطورة.. والمستفيد الأكبر ليست ورد.. بل أصحاب النفوذ من وراء الستار.. كان يمثلهم أحمد بك حافظ.

ورد تشعر بشيء ما يدور خلف الكواليس.. لكنها مجرد شكوك لم تبارح تفكيرها منذ أن دخلت عالم السياسة وعالم رجال الأعمال والصفقات.. لكنها إلى الآن مجرد شكوك.. إحساس ما لم يصل بعد إلى حد اليقين.

عبدة شطا.. المخلص الجمركي لشركات الإمبراطورة.. حضر اليوم إلى مكتب ورد.. لأخذ بعض توقيعاتها على بيانات الاستيراد الأخيرة لقطع الغيار المطلوبة من ألمانيا.. كانت صفقة من ضمن الصفقات التي أحضرها لها أحمد بك حافظ.. وفازت بها شركة الإمبراطورة للتوريدات.

وقعت ورد كعادتها على بعض المستندات سريعًا.. حتى لفت نظرها في بعض بيانات الاستيراد.. إن بلد المنشأ ليس ألمانيا كما هو متفق عليه.. المنشأ من أوزباكستان.. شيئ غريب حتى بيانات البضاعة المستوردة ليست مطابقة لمتطلبات العميل.. في الأمر شيء ما.. لم ترتسم علامات الاستغراب على وجهها.. فهي غير مسموح لها أن تقرأ شيئًا.

أخبرت عبدة شطا أن يجلس قليلاً حتى تنتهي من اجتماع مجلس الإدارة المنعقد الآن في الجهة الأخرى من الغرفة على طاولة الاجتماعات.. استأذنت ورد من عبدة شطا وجلست بالاجتماع .. في أثناء ذلك خرج عبدة شطا من مكتب ورد لعمل اتصال هاتفي من مكتب السكرتارية.. لقد نَسِي وترك الملف على مكتب ورد.. على غير عادته.. فدائما ما كان حريصًا جدًا في هذا الأمر.. يقف بجوار ورد خلال التوقيع.. يعطيها المستند تلو الآخر لتوقيعه حتى لا تقرأ ورد أي من محتوي تلك المستندات.. المطلوب منها التوقيع فقط.. هكذا هي أوامر أحمد بك حافظ.. انتهزت ورد هذه الفرصة فهي لن تتكرر مرة أخرى.. أخذت ورد الملف وقامت بتصويره بأقصى سرعة.. وأعادت الملف الأصلي مكانه.. تذكر عبده شطا أنه ترك الملف في مكتب ورد.. عاد مسرعًا إلى المكتب.. ليجد الملف مكانه.. وورد ما زالت على طاولة الاجتماعات.. اطمئن بأن أحدًا لم يلاحظ وجود

الملف.. أخذ عبده شطا الملف وذهب إلى مكتب السكرتارية ليكمل مكالمته الهاتفية.

أنهت ورد الاجتماع وغادرت المكتب مع بعض أعضاء مجلس الإدارة.. اتصلت بالسكرتارية لتقديم الاعتذار لعبده شطا نظرًا لإنشغالها.. على أن يحضر صباح الغد لإستكمال توقيع المستندات.

قرأت ورد الصورة التي معها من ملف الاستيراد بعناية ودقة أكثر من مرة وهي بالسيارة في طريقها إلى البيت.. لم ترتاح ورد لما قراءته.. فبعض البيانات غير صحيحة.. بلد المنشأ مختلف.. بيانات البضاعة مختلفة.. حتى التصاريح والموافقات والتصديقات من الغرفة التجارية بها اختلافات كثيرة.. اتصلت على الفور من سياراتها بالأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- ألو أستاذ عادل.. محتجاك ضروري تيجي ليا على الفيلا دلوقتي.. بسرعة لو أمكن.. أيوه.. شيء ضروري.

حضر الأستاذ عادل السلاموني المحامي إلى فيلا ورد.. أطلعته ورد على صورة الملف.. قصت له القصة بالكامل وبعض تعاملاتها التجارية مع أحمد بك حافظ.. كان هذا العمل بين ورد وأحمد بك حافظ.. لم يطلع عليه الأستاذ عادل السلاموني المحامي من قبل.

قال لها الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- ورد هانم.. لا فعلا.. واضح إن الموضوع مش طبيعي.. الأوراق دي فيها شيء مش مظبوط.. على العموم منستعجلش في الحكم.. أنا هأخد الملف بالكامل وأدرسه.. وأنا عندي واحد صحبي كان شغال بالجمارك.. ويفهم بالمواضيع دي كويس قوي.

ردت عليه ورد وهي رافضة لما يقول:

- لا لا يا أستاذ عادل.. مش عوزة الموضوع حد غيرنا يطلع عليه.

قال لها الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- لا متقلقيش يا ورد هانم ده صديقي وبعدين كان شغال بالجمارك والآن هو متقاعد.. ورجل أضمنه برقبتي.. بس هو فاهم وهيفدنا كثير.

- على فكرة حولي تأجلي موضوع استكمال توقيعك على المستندات دي شوية على قد ما تقدري.. لحد ما نفهم إيه إللي بيحصل بالظبط.

اتصلت ورد صباحًا بسكرتارية مكتبها.. وجهت بضرورة الاتصال بعبده شطا وابلاغه بأنها مشغولة طول اليوم خارج المكتب.. ممكن إن يحضر على أخر الأسبوع لتوقيع المستندات.

أبلغت السكرتارية عبده شطا في ذلك اليوم حسب تعليمات ورد.. لم تتأخر ورد من قبل في التوقيع على أي مستندات تخص أوامر الاستيراد الخاصة بأحمد بك حافظ.. استغرب عبدة شطا الأمر.. ورد للمرة الثانية على التوالي تقدم الأعذار.

اتصل عبده شطا بأحمد بك حافظ وقال له:

- ألو صباح الخير أحمد بك.. أنا رحت لورد هانم أوقع منها بعض المستندات الخاصة بأوامر الاستيراد للعملية الأخيرة.. عملية ألمانيا..حسيت أن ورد هانم بتتهرب مني.. بقالي يومين بحاول أقابلها عشان تستكمل التوقيعات وبتعتذر.. والنهاردة بلغوني سكرتارية مكتبها أروح لها على آخر الأسبوع.. حبيت أبلغ سعادتك وتكون على علم.

قال أحمد بك حافظ:

- تمام تمام يا شطا.. مع السلامة إنت دلوقتي.. انا هتصرف.. مع السلامة.

●●●

تجارة غير مشروعة

اتصل الأستاذ عادل السلاموني المحامي بورد:

- نعم يا ورد هانم.. شكك في محلة.. أنا جيلك بالطريق.. سلام.

نزلت ورد من على سلم الفيلا مسرعة.. كانت في قلق شديد من المكالمة الهاتفية التي تلقتها من الأستاذ عادل السلاموني المحامي.. ورد تنتظرة على أحر من الجمر.. جلست على المقعد بالهول الكبير بالدور الأرضي للفيلا.. وما أن لاحظت خيال يقترب من باب الفيلا الزجاجي.. حتى توجهت مسرعة لتفتح الباب.

فتحت الباب على غير عادتها.. لم يضرب جرس الباب.. إنه هو الأستاذ عادل السلاموني.. قالت له:

- خير يا أستاذ عادل في إيه.

رد الأستاذ عادل السلاموني المحامي وتعلو وجهه ابتسامة رقيقة يخفف بها قلق ورد وتوترها وقال:

- ورد هانم ليه متوترة كدا.. ندخل الأول مش هينفع الكلام هنا على الباب.

قالت ورد وهي تغلق باب الفيلا:

- اتفضل اتفضل يا أستاذ عادل.. أنا آسفه لكن مكالمتك قلقتني قوي.. خلينا نجلس بحجرة المكتب أفضل.

جلس الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- إحنا طبعا لسه منعرفش طبيعة العملية بالظبط.. لكن واضح إن الناس إللي إنتي شغالة معاهم بيدخلوا حاجات تاني وبيبدلو الشحنات.. معظم البضاعة جيه من دول الاتحاد السوفيتي السابق.. منعرفش بالظبط ايه هي.. بس واضح إن الموضوع كبير.. وبيستغلو اسمك واسم شركاتك وبيدخلوا البضاعة على إنها توريدات وقطع غيار للآلات بالمصانع.

ردت ورد منزعجة من تلك المعلومات:

- معقول يا إستاذ عادل.. إنت كده قلقتني زيادة.. أنا كنت فاكرة إن الموضوع تهرب من الجمارك مش أكثر.

رد الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- لا يا ورد هانم.. فعلا الموضوع كبير.. ومش عاوز أخوفك بس واضح أنه بيمس أمن البلد.. لو عوزة نصحتي.. أنا هعرض الأمر برمته على مسئول كبير في جهة سيادية ونشوف هيقول إيه.

ردت ورد وهي مندهشة من هذا الحديث:

- تمام يا أستاذ عادل.. بس بلغني أول بأول بأي تطورات.. مش عوزين نتسرع وتكون شكوكنا مجرد وهم.. فاهم يا أستاذ عادل.. الناس دي كبيرة قوي ومش سهلة.

رد الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- تمام يا ورد هانم فاهم مش محتاج تشرحي ليا هما مين.. أنا عارف كويس أنا هعمل إيه.. مع السلامة.

غادر الأستاذ عادل السلاموني المحامي.. جلست ورد تفكر بما قاله .. عادل السلاموني.. إنه يكاد يجزم أن في الأمر شيء مريب.. أمن البلد.. يعنى إيه بيمس أمن البلد.. ربنا يستر.. أنا عمري ما تصورت أن يكون الموضوع بالخطورة دي.

رن جرس الهاتف.. ردت ورد:

- ألو.. أهلا أحمد بك.. بقالي كام يوم مسمعتش صوتك.

رد أحمد بك حافظ:

- نقدر نقعد مع بعض شوية بكرة يا ورد هانم.

ردت ورد:

- أهلا بيك في أي وقت يا أحمد بك.

قال أحمد بك حافظ:

أحسن نتقابل بره.. نتغدي بكرة سوا مع بعض.. اعتقد سيمراميس كويس.

ردت ورد:

- أوكى أحمد بك وهو كذلك.. مع السلامة.

أغلقت ورد الهاتف.. واضح إن أحمد بك سيتكلم معها في موضوع توقيع مستندات الإستيراد.. بالتأكيد عبدة شطا أخبره بأن المستندات لم توقع بعد.

باتت ورد ليلتها وعقلها ما زال يفكر في أمر تلك المستندات.. هل بالفعل هناك شيء ما بهذه الخطورة.. أمن البلد يعنى أن هناك مخدرات أو أسلحة.. هل هذا يعقل.. أن أحمد بك حافظ وأصدقائة من رجال المال والسطة.. هل من الممكن أشخاص بهذا الثقل السياسي والمادي أن يكون لهم معاملات بهذا الشكل.. صعب.. صعب..!

لم تصدق ورد هذه الكلمات التي تدور بعقلها.. فهي إلى الآن مجرد شكوك ليس إلا.. فغدا لناظره قريب.. سيعرف الأستاذ عادل السلاموني المحامي كل شيء ويبلغها.. تمنت ورد أن تكون تلك الهواجس مجرد شكوك ولا تمس للواقع بأي صلة.. فإن ثبت

خطورة الموقف ستكون متورطة في هذا الآمر لا محالة.. فجميع الشحنات تدخل للبلاد باسمها واسم شركاتها.

على طاولة تطل على النيل جلست ورد وأحمد بك حافظ في المطعم الإيطالي بفندق سيمراميس.. يتبادلان الحديث بصفة عامة عن العمل وعن المستقبل والصفقات الجديدة.

ورد الآن على يقين بأن الحديث اليوم سيكون ملتهبًا بعض الشيء.. فمن طبيعة أحمد بك حافظ.. أن لا يتكلم في الموضوع الإساسي بشكل مباشر في أول اللقاء.. هو رجل أعمال محنك.. يحاول دائمًا أن يعطي انطباع بأن الحديث في عموم الأشياء.. ولكنه يخفي حقيقة اهتمامة بما جاء من أجله.. توقيع مستندات استيراد شحنة ألمانيا.. نعم قد يفسد هذا الموضوع الصفقات القادمة.

في خضم الكلمات والحوار والضحكات.. كشف أحمد بك على حقيقة وأسباب اللقاء اليوم وقال في سؤال مباغت يخفي بعض القلق:

- ورد هانم.. ليه موقعتيش مستندات استيراد شحنة ألمانيا لحد دلوقتي.. في شيء معين ممكن أفهمه.. يا ريت نتكلم بصراحة...؟!

ردت ورد في كلمات منمقة:

- لا أبدًا أحمد بك.. انشغلت بس.. ومرحتش المكتب من يومين.. ده كل الموضوع.. بس ليه يا أحمد بك مهتم قوي بالشحنة دي بالذات.

رد أحمد بك وهو يشعل سيجاره الكوبي.. وارتسمت بعض الراحة على وجهه:

- لا أبدًا بس بحب تكون مواعدنا مظبوطة.. وانتي عارفة موضوع الشحن كل ما يكون بدري بيكون أفضل.. طالما البضاعة جاهزة في ألمانيا.. ليه نتأخر في الشحن.. وانتي عرفة فى غرامات تأخير.. مش عوزين ندخل في أي مشاكل من دي يا ورد هانم.

- يا ريت يكون الملف موقع على بكرة الصبح.

ردت ورد:

- أكيد أحمد بك.. إن شاء الله بكرة يكون كل شيء تمام.

غادر كل من ورد وأحمد بك حافظ فندق سيمراميس.. كان أول شيء تفعله ورد أن اتصلت بالأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- ألو يا أستاذ عادل.. سمعني كويس.

رد الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- اتفضلي يا ورد هانم أنا معاكي.

قالت ورد:

- أنا كنت لسه مع أحمد بك.. وسأل على موضوع توقيع المستندات.. طبعًا هو اتكلم عليها خلال كلامة في أكثر من موضوع.. عشان ميبينش مدى اهتمامه بموضوع المستندات عشان ملاحظش حاجة.. لكن واضح إنه كان قلقان ومتخوف من شيء ما.. هو سأل بصراحة هل في أي اعتراض مني أنا على التوقيع.. أنا بلغته إن الموضوع بسبب انشغالي الفترة إللي فاتت مش أكثر.. لكن طلب المستندات تكون جاهزة بكرة.. إيه رأيك.. هنعمل إيه.

رد الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- طيب ورد هانم.. أنا أفضل أقابلك الليلة بالفيلا لأن الموضوع يطول شرحه ومش هينفع بالتليفون.

قالت ورد:

- تمام يا أستاذ عادل هنتظرك.. أعتقد الساعة عشرة بالليل مناسب.. بانتظارك.. سلام.

أمسك بفنجان قهوته وارتشف رشفة واحدة.. وضع الفنجان على الطاولة الزجاجية التي تتوسط مقعدة ومقعد ورد.. وقال الأستاذ عادل السلاموني المحامي:

- شوفي يا ورد هانم.. زي ما توقعت فعلاً الموضوع كبير.. وفعلاً أنا قابلت اللواء عزت الحلواني.. قال لي بالنص إن الأوراق بتدل على أن فيه فعلاً شحنات بتتبدل وبتدخل البلد بأذون استيراد خاصة بشركة الإمبراطورة.. هما رصدين الموضوع من فترة لكن مكنش عندهم لحد الآن المعلومة الكاملة وأسماء الشركات دي ومين هما الأشخاص إللي بتقوم بالموضوع ده.. هما كمان واضح أنهم مش عارفين إيه إللي بيدخل في الشحنات دي بالظبط.. لكن في توقع إنها تكون أسلحة.

- أنا شايف من وجهة نظري وكمان دي نصيحة اللواء الحلواني.. إننا نبلغ رسميًا وإن شاء الله هيتكلموا معاكي وممكن يطلبو منك مساعدة.. لأن ده طرف خيط مهم جدًا للجهات الأمنية.. وبالنسبة لوضعك القانوني زي ما أنا شايف وكمان أكده ليا كمان اللواء الحلواني.. مفهوش أي مساءلة قانونية.. لأنك بلغتي رسميًا من تلقاء نفسك.. وده يثبت حسن نيتك .. يعنى شاهد ملك في القضية.. المهم تنفيذ التعليمات وهما هيشرحوا لك كل حاجة.

لـم تكـن ورد مسـتوعبة لهـذا الحديـث.. مخاوفهـا ليسـت الآن مبنيـة علـى مجـرد شـكوك.. بـل الآن حقيقـة وحقيقـة مفزعـة.

تجهـم وجههـا مـن سـماع هـذا الحديـث وبـدت تسـاؤلات كثيـرة تزيـد الأمـر اسـتغرابًا بـل انـكارا لـه.. وقالـت:

- معقول يا أستاذ عادل أسلحة.

رد الأستاذ عادل السلاموني المحامي.

- لحـد دلوقتـي محـدش أكـد موضـع الأسـلحة.. بـس أنـا استشـفيت مـن كلام اللـواء الحلوانـي.. أنـه متأكـد إنهـا أسـلحة.. لكـن انتـي عارفـة النـاس دي مبتديـش المعلومـة كاملـة.. دول رجـال أمـن.. لكـن أنـا شـايف إن الأمـور إن شـاء اللّه بالنسـبة لـك كويسـة متخوفـش أبـدًا.. مفيـش أي ضـرر عليكـي مـن الناحيـة القانونيـة.. وده إللـي يهمنـي كمحامـي ليكـي.

- المهـم دلوقتـي عامـل الوقـت.. وانتـي بلغتينـي إن أحمـد بـك حافـظ طالـب المسـتندات بكـرة الصبـح تكـون موقعـة منـك.. أنـا شـايف نتحـرك دلوقتـي.. وأنـا هكلـم اللـواء الحلوانـي.. وأخـدك ونطلـع نبـدأ الإجـراءات الرسـمية ونبلـغ.. وهمـا أكيد عندهـم تعليمات هيبلغوهـا لـك.. يـا ريـت ورد هـانم تغيـري هدومـك.. ويـاريـت تلبسـي حاجـة بسـيطة ولـو أمكـن عبايـة ونطلـع مـن البـاب الخلفـي للفيـلا..

منعرفش جماعة أحمد بك حافظ ممكن يكونوا واخدين حظرهم منك وبيرقبوكي.. زيادة أمان مش اكثر.

قالت ورد:

- معقول دلوقتي يا أستاذ عادل.. ده إحنا بقينا نص الليل.. معقول هيكونو موجودين..؟!

ضحك الأستاذ عادل السلاموني المحامي وقال:

- لا متقلقيش يا ورد هانم.. الناس دي شغالة الأربعة وعشرين ساعة مبينموش.. ده أمن البلد.. أنا منتظرك يا ريت متتأخريش.

●●●

بلاغ لجهة سيادية

قاد الأستاذ عادل السلاموني المحامي سيارته وبجوارة ورد في زيها المتواضع متجهين إلى مقر الجهة السيادية.. حاول عادل السلاموني أن لا يأخذ طريقًا مباشرًا.. بل أخذ يدور في دوائر بعض الوقت وفي شوارع متعددة.. حتى يتأكد أن لا أحدًا يتتبعهم.. كان يخشى على ورد من تسريب أي معلومات عن تواصلها بالجهات السيادية بالدولة.. فمنصب أحمد بك حافظ ليس بالمنصب الذي يستهان به.. ولا يدري أحدًا من هي الشخصيات التي وراءه.. فغالبًا ما يكون وراءه رجال أكثر منه نفوذًا وسطوة.

حي المنيل.. قصر من الطراز القديم .. أُغلق الباب.. جلست ورد وحيده في الغرفة.. جلست على المقعد في الانتظار.. تطلعت حولها بانتباه.. كان السكون يغطى كل شيء.. الأستاذ عادل السلاموني المحامي يقف خارج المكتب.. وإذا بصوت دقات على زجاج الغرفة.. انتبهت ورد له جيدًا فهو يخترق هذا السكون.. إنه صديقها العصفور.. معقول ما زال يتذكرها إلى الآن.. فتحت نافذة الغرفة بحرص شديد.. وإذا بالعصفور يقفز على يدها ويزقزق ويهز برأسه يمينًا ويسارًا كما كان عند أول لقاء.. عندما جاءها على نافذة غرفتها.. اليوم التي شعرت به بنظرات

حسام وحبه لها.. عندما دق الحب باب قلبها.. اليوم أيضًا يأتي العصفور مرحًا مغردًا.. ليس كحالته عند آخر لقاء وهو حزينًا منكسرًا.. ابتسمت ورد.. طار العصفور بعيدًا.. أشارت إلى العصفور تودعه.. أغلقت النافذة.. عادت إلى مقعدها.. دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل.. الباب يفتح.. يدخل رجل نحيل بعض الشيء قصير القامة.. لكنه ذو هيبة على الرغم من بدلته المتواضعة.. أنه اللواء عزت الحلواني.. جلس أمام ورد.. لم يتفوه بعد بكلمة واحدة.. استدار بمقعده.. اتصل بالهاتف لبضع دقائق.. أغلق الهاتف.. استدار بمقعده مرة أخرى في اتجاه ورد وقال لها وهو يطفي سيجارته:

أهلاً آنسة ورد.. بعتذر لو السيجارة سببت لك أي مضايقه.. أنا حابب اسمعك الأول.. اتفضلي قولى إللي عندك.

سردت ورد كل ما تعرفه عن صعودها السريع في بادئ الأمر.. كانت ثرية من عملها وتجارتها وإدارتها لبعض مشاريعها المشروعة.. لكن في سهره من سهراتها مع رجال أعمال تعرف عليها أحمد بك حافظ.. بدأت تصعد السلم سريعًا.. صفقات.. عطاءات.. استيراد.. توريدات.. إلى إن عرض عليها أن تكون بمجلس الشعب نائبة بالبرلمان.. كان هذا يزيد من استغرابها.. لماذا هي بالذات.. وما هو المقابل التي تدفعه.. لم تجد ردًا على

هـذا السـؤال المحيـر.. كان يُطلـب منهـا أن تدخـل عطـاءات معينـه.. وترسـو عليهـا دون أدنـى مجهـود منهـا.. كل شـيء كان «مظبـط» تلـك الكلمـة المشـهورة التـي كانـت تسـمعها مـن أحمد بك حافـظ.. واعتادت أذانهـا علـى سـماعها.. كان يطلـب منهـا أن توقـع إذون الاسـتيراد دون أن تقرأ أي مسـتند.. حتى لاحظت شـيئًا غريبًا بمسـتندات الاسـتيراد الأخيـرة.. عندمـا نسـي المخلـص الجمركـي عبـده شـطا الملـف في مكتبهـا.. قامـت بتصويـر المسـتندات لتطلـع عليهـا تفصيليًـا.. فدائمًـا مالـم يـدع لهـا وبشـكل مقصـود رؤيـة مسـتندات الاسـتيراد تلـك.. أو تتـاح لهـا معلومـة عـن طبيعـة الشـحنات.. كل شـيء كان يتـم بتوقيعهـا لكـن دون تفاصيـل.. أحمـد بـك حافـظ هـو المسـئول.. حتـى الأربـاح الخاصـة بتلـك الشـحنات كان لـه النصيـب الأكبـر منهـا.. شـعرت مـرات عديـده بـأن أحمـد بـك حافـظ ليـس بمفـرده.. بـل وراءة الكثيـر مـن الأشـخاص أصحـاب النفـوذ يتـوارون خلفـه.. كان ذلـك مجـرد شـعور لـم يبنـى علـى معلومـة واضحـة.

- دي الحكايـة كلهـا.. أنـا صـورت الملـف واديتـه للمحامـي بتاعـي.. لأنـي شـكيت أن في شـيئًا مـش مظبـوط.. أنـا طـول عمـرى شـغلي بالنـور.. ومعرفـش حاجـة عـن الشـحنات دي.. أتمنـى يكـون كلامـي واضـح لسـعادتك.. يمكـن هتقـول عليـا سـاذجة.. لكـن مـع الأسـف هـي دي الحقيقـة.

قال اللواء عزت الحلواني وهو يشعل سيجارته:

- تمام يا ورد هانم الأمور واضحة.. وأنا بنفسي اطلعت على الملف.. حضرتك هتوقعي الأوراق دي.. ده بلاغ رسمي عشان نحفظ لك حقك.. وتكوني شاهد ملك بالقضية.. وأنا هخليكي تقعدي مع حضرة الرائد شوكت.. هو ظابط عندنا هنا بالإدارة.. هيديكي كل التعليمات اللازمة.. بس مفيش حد يعرف أي شيء أو أي معلومة.. فهماني ولا أي كلام على التليفون.. الموضوع حساس والقضية مش سهلة والناس إللي فيها برده مش سهلين.. عوزين الأمور تمشي بسرية تامة.. لأن لو حد حس بأي شيء.. ممكن يعطلونا كثير.. فهماني يا آنسه ورد.

ردت ورد وهي أكثر هدوءًا بعد ما سمعت كلمات اللواء عزت الحلواني:

- تمام سعادتك.. إن شاء الله ربنا يوفقكم.

رفع اللواء عزت الحلواني سماعة الهاتف.. اتصل بسكرتارية المكتب:

- شوفولي الرائد شوكت بسرعة.. خليه يجي ليا على المكتب.

ثلاث طرقات على الباب.. دخل حضرة الرائد شوكت وقدم التحية العسكرية للواء الحلواني:

- تمام يا فندم أومرَك.

انتبهت ورد جيدًا لهذا الصوت.. أنه هو.. هو صوت حسام.. وقفت وإلتفتت إلى الرائد شوكت وهي لاتصدق ما تراه.. شعرت أنه حلم.. معقول حسام.. ؟!

لم تتمالك ورد نفسها.. أغمى عليها.. كادت أن تقع على الأرض.. إلا أن يدا حسام إلتقطتها سريعًا.. حملها بين ذراعية ليمدد جسدها على الأريكة.. حاول أن يضع بعض العطر على وجهها حتى تفيق.. إلى أن بدأت ورد تدرك ما حولها.. نظرت إلى حسام نظرات بها كثير من الحب والأشواق والقليل من العتاب والحيرة.

ما أن لاحظ اللواء الحلواني أن ورد بدأت تفيق من إغمائتها تلك.. وبدأت تنظر إلى الرائد حسام بنظرات تعني بلا أدنى شك أنها تعرفه شخصيًّا.. بل ليس معرفة عادية.. إنه شيء أبعد من ذلك.. علاقة ما تربط بين ورد والرائد حسام.. نظر اللواء الحلواني إلى الرائد حسام وغمز له بعينه وهو يهز رأسه وعلى وجهه ابتسامة خافتة وقال:

- طيب يا حضرة الرائد واضح أن في أمور أنا لسه معرفهاش.. اسيبكم لوحدكم شوية.. أنا بمكتب اللواء جودت هو سهران النهاردة.. شوية وأرجع لكم.

رد الرائد حسام:

- تمام يا فندم.. اتفضل سعادتك.

ابتسامة تنير وجه ورد.. حدقت كثيرًا في وجه حسام.. دققت في ملامحة.. قامت من على أريكتها .. وقفت.. ثم جلست مرة أخرى.. ما هذا.. ما زالت لاتصدق.. هو حسام.. أم.. أم.. الرائد شوكت...؟!

نهضت ورد من على أريكتها مسرعة.. ارتمت بين أحضان حسام.. ضمته ووضعت رأسها على كتفه وبكت.. بكت من شدة الفراق والبعد.

- أنا مش مصدقة نفسي يا حسام.. بعد كل السنين دي.. أد إيه أنت كنت قاسي عليا.. ليه محاولتش تتصل بيا.. ليه محاولتش تدور عليا.. زي ما أنا كنت بدور عليك.. ربنا لوحده أعلم أنا كنت أد إيه مشتاقة لك.. عمري ما نسيتك يا حسام.. عمري.

ضمته بشدة إلى صدرها.. لم تمهله أن يتكلم أن ينطق بكلمة واحدة.. كان حسام فقط يستمع لها.. يستمتع بحرارة اللقاء التي طالما تمناه.. عودة حبهما.. عودة ورد إلى أحضانه.

لـم يطـول الحديـث بينهمـا كثيـرًا.. حتـى طـرق البـاب جنـدي الحراسـة:

- سـعادة اللـواء الحلوانـي علـى وصـول.. تحبـوا حضراتكـم تشـربوا حاجـة.

رد الرائد حسام:

- أيوه هات للآنسة عصير ليمون وبسرعة لو سمحت.

حضـر اللـواء الحلوانـي إلـي مكتبـة.. كانـت ورد جالسـة علـى الكرسـي أمـام المكتـب وعلـى الكرسـي المقابـل لهـا الرائـد حسـام.. قـال اللـواء الحلوانـي موجهـا حديثـة لـورد:

- إيه يا آنسه ورد.. مش أحسن دلوقتي.

ردت ورد:

- تمام يا سعادة اللواء.. أحسن الحمدلله.

بدأ الرائد حسام بالحديث موجها حديثة للواء الحلواني:

- اسـمح لـي يـا سـيادة اللـواء.. أرحـب بالآنسـة ورد وأعرفـك عليهـا أكثـر.

أنـا سـعادتك اطلعـت علـى ملـف الأنسـة ورد بالتفصيـل.. وبصراحـة أنـا فوجئـت تمامًـا أنهـا ورد إللـي أنـا أعرفهـا.. دي قصـة

سعادتك يطول الحديث عنها الآن.. لكن أحب أأكد لسعادتك أن ده هيفيدنا كثير بالقضية وإنهاء المهمة بسرعة.

نعم عندما اطلع الرائد حسام على الملف.. كان في بادئ الأمر لايعرف إنها ورد حبيبته.. إلى أن قرأ الملف بالكامل.. حتى تأكد إنها ورد.. التي كان وما زال يبحث عنها.. الآن وعند حضورة لمكتب اللواء الحلواني لم يفاجأ كثيرًا بوجود ورد.. لكنه كان يشتاق إليها.. يشتاق إلى حبه الوحيد.. إلى مسكة يديها.. إلى نظرات عينيها.. إلى أنفاسها وتنهداتها.

طرق الباب جندي الحراسة وضع كأس الليمون على الطاولة وخرج من الغرفة.

قال اللواء الحلواني:

- اتفضلي يا آنسة ورد اشربي الليمون هيهدي أعصابك.

ثم وجه كلامة إلى الرائد حسام بنوع من المداعبة وقال:

- ومعملتش حسابك ليه يا حضرة الرائد شوكت بواحد ليمون عشانك إنت كمان.

ضحك اللواء الحلواني وضحك الرائد حسام وضحكت ورد بخجل شديد.. وأكمل اللواء الحلواني حديثة:

- لكن ملهاش لزمة بقى نقول حضرة الرائد شوكت.. طالما شخصيتك انكشفت بالسرعة دي يا حضرة الظابط الهمام.. هنشتغل إزاي كده.. وأنا لسه كنت بقول من شوية للآنسة ورد.. السرية التامة.. وحضرة الرائد شوكت.

ورد ما زالت متجهمه.. لاتصدق ما يحدث.. على الرغم من ابتسامتها الخجولة التي ارتسمت على وجهها فور رؤية حبيبها حسام.. فقط جلست تستمع.. لكنها لا تنصت للحديث.. لقد اشتعلت نار الحب من جديد بعد ما كانت تعتقد أنها انطفئت وباتت رمادًا بعد مرور تلك الأيام والسنين.

رد الرائد حسام:

- متقلقش سعادتك.. الأنسة ورد معرفة قديمة.. وأنا سعيد أني مسكت القضية دي.. التعاون والتفاهم بنا هيسهل إن شاء الله انجاز ونجاح القضية زي ما قلت لسعادتك.. وأكيد في سرية تامة.

تابع اللواء عزت الحلواني حديثة وهو يهز رأسة متهكمًا بعض الشيء على هذا الموقف وهو مبتسمًا:

- واضح واضح إن هيكون في تعاون يا حضرة الرائد شوكت.. شوكت إيه بقى قصدي يا حضرة الرائد حسام.. بس خدوا بالكم.. لازم اسم حسام ده يدنه سر بنا إحنا الثلاثة.. لكن

اسـمك بالعمليـة شـوكت.. واضـح يـا ورد هـانم.. الرائـد شـوكت.. وبـلاش الرائـد .. شـوكت وبـس.

ضحك كثيرًا اللواء عزت الحلواني:

- طيـب يـا حضـرة الرائـد ثمانيـة وأربعـون سـاعة وتكـون الخطـة علـى مكتبـي، اعتقـد وقـت كافٍ.. لاحـظ أننـا محتاجـين ننفـذ العمليـة بأقصـى سـرعة ممكنـة.

رد الرائد حسام:

- تمام يا فندم أي أوامر سعادتكم.

قال اللواء عزت الحلاوني:

- تمـام كـده.. لكـن تقتـرح نسـمي المهمـة إيـه يـا حضـرة الرائـد الهمام.

رد الرائد حسام:

- اقتـرح بعـد موافقـة سـعادتك طبعـا إننـا نسـمي المهمـة «الضفائـر الحمـراء» طبعـا لـدور الآنسـة ورد معانـا وكمـان....

لـم يكمـل بعـد الرائـد حسـام كلماتـه.. حتـى هـز رأسـة اللـواء الحلوانـي وبأبتسـامة متواريـه قـال:

- تمام يا حضرة الرائد واضح إنك بتتفائل بالاسم ده.. أنا معنديش مانع.. أنا هسبكم تبتدوا شغل.. ماشي يا آنسه ورد .. مع السلامة يا ولاد.. بالتوفيق.

ما إن خرج اللواء عزت الحلواني من الغرفة.. حتى طار العاشقين فرحًا.. كعصفورين التقيا في السماء.. ليغردا سويًا.. يا له من لقاء.. احتضنا كل منهما الأخر.. تبادلا القبلات.. تلاقيا بعد طول غياب.. عادت الأرواح لأجسادها.. ارتوت قلوب العاشقين.. فالحب الصادق لايموت.. فما زال حسام على وعده.. وما زالت ورد على عهدها.. كانا على يقين بأنهما يوما ما سيلتقيان.. سيكون كل منهما للآخر.. فقط كان السؤال هو.. متي.. وأين..؟

جلسا سويا يتبادلان أطراف الحديث..كانت ورد متشوقة لسماع حسام.. أمسكت بيدية وقالت له:

- بجد يا حسام دي مفاجأة مكنتش أبدًا أتوقعها.. وظابط كمان.. أحكي ليا عملتو إيه أنت وعم أبويوسف اللّه يرحمه.. أما سبتو باب اللوق.. إنت متعرفش أد إيه أنا لفيت ودورت عليك.. كنت بتمني أقابل أي حد يعرف عنك أي حاجة.. لكن مع الآسف مقدرتش أعرف أي شيء عنك.

رد عليها الرائد حسام:

- طـول عمـرك في قلبـي يـا ورد.. وفي عقلـي.. إنتـي روحـي.. متغيرتيـش كثيـر يـا ورد عـن آخـر لقـاء جمعنـا سـوا.. لسـه زي مـا إنتـي بوجهـك الصبـوح بكلماتـك الرقيقـة حتـى الضفائـر الحمـراء يـا ورد.

- لكـن مكنـش ينفـع إنـي أقعـد في بـاب اللـوق ولا حتـى في حـي جنـب بـاب اللـوق.. كان لازم أبعـد بعـد إللـي حصـل.. تهمـة السـرقة يـا ورد مـش بسـيطة.. ومـن مـين.. مـن الراجـل إللـي إئتمنـا علـى محلـه.. إحنـا صـح نـاس بسـطاء لكـن أقـل شـيء يجرحنـا.

قالت ورد مقاطعة كلام حسام:

- علـى فكـرة يـا حسـام أنـا عرفـت مـين إللـي كان ورا الملعـوب ده.. كان المعلـم طاهـر.. لكـن أنـا مسـبتوش دنتنـي وراه لحـد مـا خلصـت حقـك وحقـي منـه.

قال لها الرائد حسام:

- كنـت حاسـس إنـه هـو المعلـم طاهـر.. لكـن مكنتـش عـارف إيـه إللـي خـلاه يعمـل كده.

قالت له ورد:

- خلاص يا حسام أهو راح لحالة.. وأهم حاجة إننا اتقابلنا من تاني.. قول يا حسام احكي ليا.. أنا سمعاك ومش هقطعك تاني.

استرسل الرائد حسام في حديثة:

- أبدًا يا ورد طلعنا من باب اللوق.. ورحنا كام مكان فرشنا قدامه.. لكن مكناش بنطول فيه كثير.. أسبوع في التاني.. ونأخد حاجتنا وندور على مكان تاني نفرش فيه.. المهم في يوم حملنا فرشنا على عربية.. وان جيتي للحق في اليوم ده مكناش عرفين إحنا رايحين على فين.. واحنا بالطريق.. العربية كانت محملة على الأخر.. وقع قفص فاكهة.. اتصادف أن قفص الفاكهة وقع على عربية ملاكي كانت ماشيه ورانا.. نزلت أنا وعمك الحاج أبو يوسف الله يرحمه نتأسف لصاحب العربية الملاكي.. ونشيل القفص إللي وقع على العربية.. طلع لواء كبير في الداخلية.. أنا وأبويا بيني وبينك وقفنا متسمرين مكنا.. قلنا خلاص فيها قعده في القسم وقضية وسين وجيم.. ده لواء شرطة.. لكن بجد يا ورد طلع راجل طيب و أبن ناس.. أتعرف علينا.. وقال لنا مفيش مشكلة الحمدلله حصل خير.. سألنا انتم ريحين على فين كدة.. قلنا له إحنا ناس صعايدة وبنبيع فاكهة وعلى باب الله كل يوم

في مكان واهي الحمدلله مستورة.. قال لنا اللواء أنا عندي فيلا جنينتها كبيرة ومعنديش حد يصونها ويهتم بيها.. إيه رأيكم تيجو تزرعوها.. أبويا بص ليا سعتها وقالي يلا يا حسام الراجل ده باين عليه طيب وكويس خلينا معاه.. ومن ساعتها أبويا اشتغل عند اللواء ده جنيني وكمان حارس للفيلا.. وأنا كنت بساعده برده والحمدلله كملت تعليمي.. واللواء كثر خيره كان بيعاملني زي ابنه تمام.. هو إللي أتوسط ليا ودخلت كلية الشرطة.. والحمدلله حتى بعد ما اتخرجت مسبنيش وحطني في مكان مهم.

قالت ورد:

- إنت تستاهل كل خير يا حسام.. ربنا عارف إن قلوبنا طيبة أد إيه.. الحمدلله إنه جمعنا تاني.. واستجاب لدعائي.. مش هسيبك أبدًا يا حسام.. أبدًا.

رد عليها الرائد حسام:

- أكيد يا ورد ده أنا ما صدقت إني لقيتك.. بحبك.. بحبك.

قالت ورد:

- وأكيد يا حضرة الرائد حسام.. إنت عارف عني كل حاجة.. واضح إنك قرأت ملفي كله وعرفت إني ورد حبيبتك.

رد حسام:

- صحيح.. لكن انتي عرفتي منين...؟!

قالت ورد:

- على فكرة كان واضح عليك قوي إنك عارف إني موجودة في مكتب اللواء عزت الحلواني.. لأن مشفتش على وشك أي ملامح للمفاجأة يا حضرة الظابط.. وواضح إنك عارف كل شيء عني وعن القضية كمان.. صح.. ولا أنا غلطانة يا حضرة الرائد حسام..؟

قال الرائد حسام:

- صح يا ورد.. باين عليكي الدنيا علمتك كثير.. ده إنتي بقيتي ولا المباحث.. عرفتي ده كله إزاي.. عشان شطارتك دي هديكي نجمتين مرة واحدة.. إنتي من النهاردة الملازم أول ورد.

- يلا نبتدي الشغل بقى ورانا قضية كبيرة يا حضرة الملازم أول ورد.. وللأسف حضرتك حتى الآن متهمة.. واضح ولا أقول تاني.

ردت ورد:

- تمام يا حضرة الرائد حسام.

قال لها الرائد حسام وهو ينظر لها بشدة وحزم:

- ها.. قلنا إيه.

قالت له ورد وهي تضحك:

- تمام يا حضرة الرائد شوكت.. قصدي يا أستاذ شوكت.. لقد دقت ساعة العمل.

قال لها الرائد حسام:

- على فكرة قبل ما نبتدي الشغل.. بكرة الصبح وقعي باقى المستندات إلى مع عبده شطا.. عشان متثريش أي شبهة إنك عرفتي حاجة.. موقفك دلوقتي بقى قانوني بعد ما عملتي البلاغ.. متخافيش.

●●●

الضفائر الحمراء

إعلان بجريدة الأهرام.. وظائف خالية.. مطلوب موظف بإدارة المناقصات لدى شركة الإمبراطورة للتوريدات.. تقدم عدد من الشباب لشغل هذه الوظيفة.. من بين المتقدمين شوكت الوكيل «الاسم الحركي للرائد حسام».. كانت تلك أولى الخطوات لزرع الرائد حسام داخل شركة الإمبراطورة.

الخطة وضُعت بإحكام.. بالفعل تم تعيين شوكت الوكيل «الاسم الحركي للرائد حسام» في شركة الإمبراطورة للتوريدات.. في إدارة المناقصات.. كان الهدف من تعيينه أن يطلع على جميع المستندات ومراجعة العطاءات التي تم تقديمها.. والتي تم بموجبها تحرير إذون الإستيراد من الخارج للشحنات المشبوهة.

إدارة المناقصات هي الإدارة المسئولة عن جميع العطاءات والتوريدات بالشركة والتي تتم من خلالها تعديل مستندات الإستيراد وتعديل بلد المنشأ.. ومتابعة الشحنات حتى انتهاء عملية التوريد.. كانت الإدارة مُسيطر عليها بشكل شبه كامل من أحد رجال أحمد بك حافظ وذراعه الأيمن.. سعد الدين عتمان.. كان هناك صعوبة بعض الشيء في إطلاع الموظف الجديد شوكت

الوكيل على معلومات الإدارة.. فهو شخص جديد.. ولم يحوز بعد على ثقة غالبية موظفي الإدارة وخاصة مدير الإدارة سعد الدين عتمان.. إلا أن شوكت الوكيل بحنكته وذكائه استطاع أن يكسب ثقة الجميع خلال عدة أسابيع.. وذلك بمساعدة ورد مالكة الشركة.. كانت المعلومات التي أعطتها ورد إلى الموظف الجديد شوكت الوكيل عن شخصية كل موظف وطبيعة عمله بإدارة المناقصات ساهمت وبشكل كبير في دراسة شوكت الوكيل لشخصية كل منهم.. وعرف كيف يمكن كسب ثقتهم واحد تلو الآخر.. مرت عدة أسابيع قبل أن يلتقط شوكت الوكيل أولى خيوط اللعبة.

مناقصة جديدة طُرحت في أحد مصانع أحمد بك حافظ.. وتم ترسيتها على شركة الإمبراطورة للتوريدات التي تمتلكها ورد.. المناقصة تحتوى على توريد آلات جديدة وقطع غيار لآلات بالمصنع لتحديث بعض خطوط الانتاج.. كان المصدر من ألمانيا والتشيك.. وبالفعل تم فتح الاعتماد المستندي بأحد البنوك المصرية بمبلغ ٧٥ مليون يورو.. لصالح «بنك مورجان استانلي» بفرعيه «شفاينفورت» بجمهورية ألمانيا الإتحادية وفرع «براغ» بجمهورية التشيك.. وبالفعل تستلم شركة الإمبراطورة رسالة عبر الفاكس تفيد بأن الشحنات ستكون جاهزة للتسليم خلال شهرين من تاريخ فتح الاعتماد المستندي.

إلا أنه وبسرية تامة يقوم الأستاذ سعدالدين عتمان مدير إدارة المناقصات بوضع بعض المستندات خلال توقيع ورد للمستندات الخاصة بالاعتماد المستندي الأساسي.. تفيد بتعميد البنك بإجراء «تحويل الأعتماد المستندي» بما يمثل تغيير في شروط الإعتماد المستندي الاساسي.. وتخفيض قيمته وشروط التوريد.. ليصبح الإعتماد الصادر لألمانيا والتشيك فقط ١٥ مليون يورو.. والجزء الأكبر من الاعتماد المستندي ٦٠ مليون يورو لصالح بنك وسيط بقبرص «بنك أوف قبرص».. تلك المستندات يتم إخفاءها بالكامل ولا تسجل بسجلات شركة الإمبراطورة.. وتوضع بسرية تامة في الخزينة الخاصة بالأستاذ سعدالدين عتمان ولا يتم التصرف بها إلا بتعليمان شخصية من أحمد بك حافظ.

يقوم البنك الوسيط بقبرص «بنك أوف قبرص»بعمل الصفقات المشبوهة بطرق ملتوية وشراء الأسلحة بالجزء الأكبر من الاعتماد المستندي الأساسي بمبلغ ٦٠ مليون يورو.. ويتم شحن الكونتينرات من بلد منشأ آخر هي أوزباكستان.. لكن يتم تغيير مستندات الشحنة على أنها جزء من الشحنة الأساسية الخاصة بالاعتماد المستندي الأساسي الوارد من ألمانيا والتشيك.. بمعرفة أحمد بك حافظ وأصدقاءة بالجمارك وبالتعاون مع المخلص الجمركي عبده شطا .

وبالتنسيق التام يتم في نفس التوقيت استلام الشحنات الأساسية التي تحتوي بالفعل على قطع الغيار والألات المطلوبة من ألمانيا والتشيك بقيمة ١٥ مليون يورو.

تقوم مستودعات مصنع أحمد بك حافظ بإستلام الشحنة الأساسية والسليمة التي تحتوي على الماكينات وقطع الغيار بقيمة ١٥ مليون يورو.. على أنها كامل الشحنات بقيمة ٧٥ مليون يورو.. وذلك بعد تعديل الفواتير بالقيمة والكميات.

أما الشحنات التي تحتوي على الأسلحة يتم إرسالها إلى مستودعات سرية بمعرفة أحمد بك حافظ بالصحراء لحين تصريفها.

نعم اكتشف الموظف شوكت الوكيل «الرائد حسام» جميع خيوط اللعبة.. لكن يبقى شيء هام.. حتى الآن لم يثبت براءة ورد من هذه العملية القذرة والعمليات الآخرى.. فكل شيء يتم بتوقيع ورد صاحبة الصلاحية الوحيدة بشركة الإمبراطورة للتوريدات.. قانونًا ورد هي المتورطة بتلك العمليات.. ينقص القضية شيء مهم.. الحصول على أي مستند يثبت تورط أحمد بك حافظ بتلك العمليات.. وهذا شبه مستحيل.. فهو دائمًا خلف الستار.. لم يتبقَ إلا محاولة واحدة.. على شوكت الوكيل استدراج أحمد بك حافظ للإعتراف بتلك العمليات.. لتبرأة ورد.. وتحميل المسئولية الجنائية على أحمد بك حافظ.. إذًا الهدف هو الصيد الثمين.. الهدف هو أحمد بك حافظ.

●●●

الصيد الثمين

في تمام الساعة السادسة والنصف مساءً.. ومع آخر ضوء من النهار.. تركت ورد باب الفيلا الصغير مفتوحًا.. إنه يطل على الحديقة الخلفية للفيلا.. والغفير دائمًا ما يجلس أمام البوابة الرئيسية للفيلا.. أعطت الخدم وفريق الحراسة الخاص بها أجازة تلك الليلة.

تسلل شوكت الوكيل «الرائد حسام» و بعض الفنيين ومعهم الكثير من المعدات والأجهزة.. إلى الفيلا من الباب الخلفي.

كانت تعليمات شوكت الوكيل «الرائد حسام» لورد صريحة وحازمة.. أن لا يشعر أحد بما يدور داخل الفيلا تلك الليلة.. أراد شوكت الوكيل «الرائد حسام» أن يجهز الفيلا بالكاميرات والميكروفونات بعد إستئذان النيابة العامة وأخذ التصاريح والموافقات اللازمة.. حتى يتم الإيقاع بأحمد بك حافظ.. وتسجيل اعترافاته.. إن نجحت خطته ونفذت ورد كل ما طُلب منها.

بالفعل تم تجهيز الفيلا بالكامل بالكاميرات وأجهزة التنصت خلال ساعة واحدة.

كان المتفق عليه أنه بمجرد طلب أحمد بك حافظ مقابلة ورد في الفيلا الخاصة بها.. وهي عادته عندما يريد مقابلة ورد والتباحث في أمور تخص صفقات العمل بينهم .. أن تقوم بالاتصال فورًا بشوكت الوكيل «الرائد حسام» لعمل الترتيبات اللازمة.. وبالفعل في نهار ذلك اليوم اتصل أحمد بك حافظ بورد.. يخبرها بأنه سيأتي الليلة على العشاء.

ورد كانت متوترة في هذه الليلة.. لكن شوكت الوكيل «الرائد حسام» شرح لها كل شيء.. وشد من أزرها.. لتكن واثقة من أنه بجوارها دائمًا وسيحميها.. المطلوب تنفيذ الخطة والحوار المتفق عليه بكل دقة.

اتصل شوكت الوكيل «الرائد حسام» بجهازه اللاسلكي:

- كل شيء تمام يا فندم تقدرو تتفضلوا.. أيوه من نفس المكان.. الباب الخلفي.

دون أن يلاحظهم أحد.. صعد عدد من الرجال بملابسهم الملكية إلى الدور العلوي للفيلا بغرفة نوم فرعية كانت مجهزة كغرفة تحكم بها الشاشات وأجهزة التنصت والتسجيل صوت وصورة.. كان من بينهم مساعد النائب العام وبعض رجال النيابة العامة وبعض الرجال من جهات سيادية اخرى ورجال الشرطة.. الجميع في انتظار الصيد الثمين حضور أحمد بك حافظ.

عقارب الساعة تشير إلى التاسعة مساءً.. دقت الساعة في بهو الفيلا.. بعدها بثواني معدودة دق جرس الباب.. ذهبت ورد لتفتح الباب.. فاليوم أجازة لجميع الخدم وأفراد الحراسة بالفيلا.. أحمد بك حافظ يقف أمام الباب.. رحبت به ورد:

- أهلا أحمد بك.. اتفضل.. النهاردة أنا عامله لك الأكل إللي بتحبه كله.. وأكيد منستش الإستاكوزا.

ضحكت ورد.. فابتسامتها تلك الليلة وضحكاتها كانت مصطنعة.. لكنها لحد كبير شبيهة بإبتسامتها الطبيعية.. المهم إن أحمد بك حافظ لا يلاحظ.. عليها الصمود هذه الليلة.

قال أحمد بك حافظ مبتسمًا.. وهو ينحني ويقبل يد ورد:

- حقيقي يا ورد هانم.. أنا مبستريحش إلا عندك.. كثير ناس حاسدني عليكي.

- يا ريت يا ورد هانم نشرب كأس قبل العشا.

ابتسمت ورد لكلمات أحمد بك ومجاملته لها.. وأحضرت الكأس:

- اتفضل أحمد بك.

جلس أحمد بك حافظ بالصالون الرئيسي ببهو الفيلا وأشعل سيجارة الكوبي وأخذ الكاس من يد ورد:

- أنا حقيقي كنت حابب أتكلم معاكي في صفقة جديدة برتب لها من فترة.. لكن إنتي عارفة مشغولياتي أد إيه.. الشركة والمصنع والحزب.. واخدين كل وقتي.

ردت ورد:

- ربنا يكون في عونك.. اتفضل يا أحمد بك أنا سمعاك كويس.. وخد رحتك بالكلام.. مفيش حد بالفيلا.. النهاردة أجازة للخدم والحراسة كلها.

- ويا ترى الصفقة دي زي صفقة أوزباكستان الأخيرة...؟! آسفه جدًا أقصد صفقة ألمانيا...؟!

لم يرتاح أحمد بك حافظ لكلمات ورد.. إن ورد مختلفة بعض الشيء هذه الليلة.. قال أحمد بك حافظ وقد أثارت كلمات ورد استغرابَه:

- قصدك إيه يا ورد هانم.. يعنى إيه زي صفقة أوزباكستان أو ألمانيا الأخيرة.. وهي الصفقات بتاعتنا من إمتى بتكون زي بعضها.. في شي حبه تقوليه.. أنا سامعك.

ردت ورد:

- أحمد بك.. أنا أقصد الكلام إللي بقوله كويس قوي.. وكنت أتمنى إنك تكون صريح معايا من البداية..؟

رد عليها أحمد بك حافظ:

- في إيه يا ورد هانم.. إنتي بتردي عليا كل سؤال بسؤال.. إنتي فيكي حاجة غريبة النهاردة.. عمرك ما اتكلمتي معايا بالأسلوب ده قبل كده.. حقيقي أنا متفاجئ.

ردت ورد:

- أحمد بك.. خلينا نكون صريحين.. آنا آخر مستندات وقعتها لشحنة ألمانيا.. اكتشفت فيها حاجات كثير قوي.. الآلات المطلوبة وقطع الغيار.. مش جيه من نفس بلد المنشأ.. الاعتماد المستندي.. تم تعديله يا أحمد بك.

- أعتقد الأمور كده مش طبيعية.. يا ريت يكون اللعب على المكشوف.. إحنا بقالنا كثير مع بعض واشتغلنا صفقات كثير.. كلها عن طريق شركتي وبتوقيعي.. وكنت إنت لك نصيب الأسد في أرباح الصفقات دي.. صحيح.

رد أحمد بك حافظ:

- صحيح يا ورد هانم.. أنا منكرش إننا اشتغلنا مع بعض صفقات كثير.. وكلها صفقات ناجحة.. صح أنا كنت بتحصَّل على الربح الأكبر.. لكن إنتي عرفه أنا معايا ناس بتسعدنا كثير ومناصبهم حساسه.. مينفعش إنهم يظهروا في الصورة.

قالت ورد:

- أنا عوزة أسألك سؤال واحد بس واضح وصريح.. إيه طبيعة الشحنات دي يا أحمد بك.. ؟ وأعتقد إني مش صغيرة دلوقتي.. آه طبعًا تلمذتك يا أحمد بك مقدرش أنكر ده.. لكن أكيد في يوم التلميذ بيكبر وبيتعلم.

ضحك أحمد بك بصوت عالي:

- أيوة يا ورد هانم بس عمر ما التلميذ بيكبر على أستاذه.. أنا هقولك بصراحة شديدة.. طالما إحنا دلوقتي لوحدينا وبنلعب على المكشوف.. وأورقنا كلها مكشوفة على الطاولة.

- أنا بدخل سلاح لمصر.. عن طريق الصفقات دي.. السلاح أكبر شيء مربح بمصر.. مش هتصدقي يمكن أكثر من المخدرات والهروين والحاجات دي إللي دوشنا بيها صبح وليل في التلفزيون.. ده بزنس يا ورد هانم.. وبزنس كبير قوي.

ردت ورد وهي تحاول أن تقنع أحمد بك إنها متفاجأة من هذا الحديث:

- معقول يا أحمد بك بتتاجر في السلاح..؟! معقول ده إنت راجل وطني وعضو مجلس شعب..! ومش أي عضو.. ده إنت عضو بارز في الحزب كمان..! إزاي تقول كده.. أنا بجد مستغربه كلامك.. أحمد بك أوعى تكون سكرت من أول كاس..؟!

ضحك أحمد بك حافظ وهو ينفخ دخان سيجارة الكوبي في الهواء:

- لا يا ورد هانم انا بكلمك بكل صراحة.. مش انتي عوزة الصراحة.. وعلى فكرة كل الصفقات إللي قبل كده وإللي اشتغلناها مع بعض.. كانت برده سلاح.. وشحنة ألمانيا الأخيرة دي تقريبًا كانت أقل صفقة سلاح عملتها.. حبيت المرة دي أعطش السوق شوية.. لأن التجار ابتدو يفصلوا معايا بالسعر.. وأنا مبحبش كده.. قررت أعطش السوق شوية.. عشان بعد كده يرضو بالسعر إللي أنا أحدده.

- بس إيه رأيك باللعب ده.

ردت ورد تحاول إن تبين أنها منبهرة بما يقوله أحمد بك حافظ:

- بصراحة يا أحمد بك.. شيء مش ممكن أبدًا أي حد يصدقة.. فتح الاعتمادات المستندية للمورد الحقيقي بألمانيا.. بعد كده تتغير التعليمات عن طريق بنك وسيط ويتعدل الاعتماد المستندي.. المبلغ الصغير تيجي بيه البضاعة المظبوطة بس بكميات أقل.. والمبلغ الكبير تدخل بيه شحنات أسلحة للبلد.. بنفس مستندات الشحنات الأصلية وتعدي من الجمارك.

- لا يا أحمد بك بجد «شبوه».. أرفع لك القبعة.. ده شغل أبلسه مش بني آدمين.

ضحك أحمد بك حافظ.. ضحكاته صداها يتردد في المكان:

- ها.. ها.. ها.. إنتي عرفتي كل حاجة أهو.. أنا عارف إنك شطرة.. لكن بعتذر بجد لأني مكنتش أبدًا أتصور ذكائك يوصل إنك تكشفي سر العمليات إللي بنقوم بيها وبالسرعة دي.. لكن حلو التعبير ده يا ورد هانم.. «ولاد أبلسه».. كل الكلام إللي قلتيه على فكرة مظبوط يا ورد هانم.. طول عمري كنت براهن على ذكائك.. ها.. ها.. ها.

- ممكن كأس تاني يا ورد هانم.. ويا ريت هاتي الإزازة معاكي والثلج كمان.

استرسل أحمد بك حافظ في الحديث وهو يشرب كأسة الثاني:

- على العموم أنا ممكن أعلى نسبتك بالأرباح.. مش مشكلة.. المهم تكوني أد المسؤلية والكلام إللي قلته لك الليلة سر تمنه حياتك.. فهماني تمنه حياتك يا ورد هانم.

ردت عليه ورد:

- أبدًا يا أحمد بك.. سرك في بير.. إحنا مع بعض يا أحمد بك في مركب واحدة مش كده ولا إيه.

رد أحمد بك وهو يهز رأسة:

- صحيح يا ورد هانم.. إحنا بمركب واحدة.

سألت ورد مرة اخرى:

- بس أنا مستغربة يا أحمد بك إزاي إنت بتعمل كل الحاجات دي لوحدك.. ترتيب مع بنك قبرص.. وترتيب الجمارك.. والمخازن.. وبيع السلاح... لا لا يا أحمد بك أنت إمبراطور بجد.. مش أنا الإمبراطورة.

رد أحمد بك وهو يملأ كأسه مرة تلو الأخرى:

- ها.. ها.. ها.. أنا معايا ناس كبيرة يا ورد هانم.. لكن محدش يعرفهم إلا أنا.. أنا وبس.. الثمن حياتي يا ورد هانم.. أيوه الثمن حياتي أنا.. لو حد عرف عنهم حاجة.

ضحكت ورد وقالت:

- ألف سلامة عليك يا أحمد بك.. إلا حياتك.. كلنا محتاجينك يا أحمد بك.

رد أحمد بك حافظ وهو يحاول الوقوف من مقعده وهو يترنح من أثر الشراب:

- شكرا يا ورد هانم.. أعتقد كده اتفقنا.

قالت ورد:

- أحمد بك.. خد بالك من نفسك لتقع.. شكلك تقلت في الشرب الليلة.. على العموم اتفقنا.. بس للأسف واضح إنك مش هتلحق تتعشى معايا الليلة.

رد أحمد بك حافظ فقد آثارت كلمات ورد استغرابَه:

- ليه يا ورد هانم بتقولي كده.. إنتي مش قلتي إنك مجهزة ليا الأكل إللي بحبه كله.. وكمان الإستكوزا.. ولا رجعتي في كلامك.

لن ترد ورد على أحمد بك تلك المرة.. لقد انتهى العرض الهزلي.. مسرحية للنسيان.. أُسدل الستار.. أُضيئت الأنوار دفعة واحدة.. الكل يصفق.

أغمض أحمد بك عينية من شدة الضوء بضع ثواني.. فتح عينيه ليجد نفسه محاط بكثير من الرجال.. كانت المفاجأة.. تقدم مساعد النائب العام وقال له:

- كل شيء يا أحمد بك حافظ متسجل صوت وصورة.. مش عارف إحنا كنا تايهين عنك إزاي طول الفترة دي.. بس حقيقي مكنش أبدًا حد يتوقع إنك الراجل الخفي وراء كل السلاح إللي دخل مصر في السنين الأخيرة إللي فاتت.. ولولا شجاعة ووطنية الآنسة ورد.. كنا زمنا لسه بندور وسط ملايين المصريين.. عارف المصريين يا أحمد بك.. المصريين إللي إنت كنت سبب في قتلهم وتدميرهم.. مش غريبة إنسان زيك في مركزك الاجتماعي والسياسي.. يكون هو نفس الشخص إللي يحاول إنه يدمر ناسه وأهله.. على العموم اللعبة خلصت يا أحمد بك.. اتفضل معانا.. العشا عندنا الليلة بس للأسف مفيش عندنا استاكوزا يا أحمد بك.. أكلنا كله أكل شعبي بسيط.. فول طعمية كشري.. على الله بس يعجبك.. لأنك هطول معانا شوية.

أشار مساعد النائب العام إلى رجاله:

- هاتوه.

●●●

ويبقى الحب

أنا فخور بيك يا حسام.. القرار صدر من وزير الداخلية بترقيتك إلى رتبة مقدم.. ألف مبروك يا ابني و بالتوفيق.. المجهود إللي عملته في قضية أحمد بك حافظ.. كان مجهود مشرف.. إنت كده سابق دفعتك يا حضرة المقدم.. عاوزين نسمع عنك بطولات في مكانك الجديد.. تلك كانت كلمات اللواء عزت الحلواني للمقدم حسام.

خرج المقدم حسام من مقر القيادة.. كانت تنتظرة ورد باشتياق.. انطلقا سويًّا بالسيارة.. وقالت ورد:

- يا ترى كانوا عاوزينك ليه النهاردة يا حسام.

رد حسام:

- صدر أمر بترقيتي ونقلي اليوم لمكان أرفع يا ورد.. بركيلي.. وعلى فكرة لولا اتقانك ومشيك على الخطة يا حضرة النقيب ورد.. مكنتش أقدر أبدًا آخذ الترقية دي.. إنتي أكيد ليكي فضل كبير فيها.. عشان كده أنا رقيتك إلى رتبة نقيب.. النقيب ورد.

ضحكت ورد وقبلت حسام:

- ألف ألف مبروك يا حبيبي.. إنت تستاهل كل خير.. ومهما أوصف لك فرحتى وشعوري إنك رجعت ليا تاني.. وكنت جنبي بمحنتي.. مش هعرف أقول أي شيء.. غير كلمة واحدة.. هي كلمة بحبك.. بجد بحبك.

بعد تلك الكلمات الرقيقة من ورد.. لاحظت إن حسام يقود بسرعة عالية.. هذا الطريق لا تعرفه.. طريق لأول مرة تشاهده:

- هوو يا حضرة المقدم.. على فين كده إن شاء الله.. رايح فين.. دة مش طريق بيتي ولا بيتك..انت وخدني ورايح على فين.

قال حسام:

- على المأذون يا حبيبتي.. كفاية بقى كده يا ورد عاوز أفرح عاوز أتهنى شوية بقى.. اتأخرنا كثير قوي.. والحمدلله كل شيء أتمنناه أتحقق.. هنستنى إيه تاني.

قالت ورد:

- بس يا حضرة المقدم مش المفروض انك قبل ما تروح للمأذون.. تسألني موافقة ولا لا.

قال لها حسام وقد أوقف السيارة فجأة على جانب الطريق:

- نعم.. أيوه بتقولي إيه بقى يا حضرة النقيب ورد.. يعني إيه لما توافقي.. بعد ده كلة حضرتك لسة موفقتيش..؟!

قالت ورد وهى تنظر لأعلى وعيناها تزداد مكرًا ودهاءً:

- لا سبني أفكر شوية يا حضرة المقدم حسام.. حضرتك بجد فجأتني.

رد حسام في تعجب:

- إنتي بتتكلمي بجد.. بلاش أرجوكي شغل الأفلام الأبيض والأسود ده.. بجد يا ورد الأفلام إللي بتسمعيها دي خلاص ممنوع تدخل البيت أما نتجوز دي مبوظة دماغك على الآخر .. ها.. ها.. قال تفكر قال.. ! يعني إحنا بقالنا كام سنة بنحب بعض وبعدين كام سنة بندور على بعض.. وأول ما نتقابل والظروف تسمح تقولي هفكر.. إنتي هتجنينني..!

ضحكت ورد:

- بقى أنا هجننك.. كده طيب.. وشرط أساسي لازم تروح تخطبني من ولى أمري يا حضرة المقدم.. عشان تعرف تقولي انتي هتجنينني تاني.. جنان بجنان بقى.

هز حسام رأسة:

- طيب يا حضرة النقيب ورد .. يلا على أخوكي عبادة نروح له واطلب إيدك منه حالاً.. يلا بينا على باب اللوق.. أدار حسام محرك السيارة وانطلق مسرعًا.

قالت له ورد وهي تشير له بيديها أن يهدأ قليلاً:

- هووووو.. إنت رايح فين.. عبادة إيه.. لازم تطلبني من الحاج شحتة الراوي.. فاهمني.. الحاج شحتة الراوي.

قال لها حسام:

- طيب يا ورد حاضر انا هشوف اخرتها معاكي ايه.. وانا موافق.. يلا نروح لعمي شحتة الراوي.. يلا على البلد.

قالت له ورد وهي تحاول أن تمسك يده من على مقود السيارة:

- حسام اقف يا حسام إنت بتعمل إيه.. إنت صدقت يا مجنون أنا بضحك معاك بس.

رد حسام ولم يوقف السيارة بل ازداد من سرعته:

- أيوه كل إللي هتقولية هيتنفذ.. أما أشوف أخرتها معاكي إيه.

بالفعل طار حسام وبجواره ورد بالسيارة إلى قرية كفر ميت أبو عميرة.

سألته ورد:

- إنت عارف طريق بلدنا منين.. إذا كنت أنا معرفش الطريق يا حسام.. أنا مرحتش هناك من وأنا صغيرة.

رد حسام:

- متقلقيش هعرف الطريق حالاً.. اتصل بأحد زملاءه بقطاع المرور بالداخلية.. وصف له الطريق بالتفصيل.. وما هي إلا ساعة واحدة حتى وصل حسام وورد إلى مشارف القرية.

قالت ورد وهي تحاول أن تتذكر بعض ملامح القرية:

- أيوه يا حسام ابتديت افتكر.. امشي بالراحة كده هتلاقي مسجد على إيدك اليمين.. أيوه صح مظبوط.. هي دي الدار بتاعتنا هناك على الناصية.

وقفا قليلاً أمام الدار القديمة التي عاشت بها ورد وأخواتها في أحضان والدها شحتة الراوي ووالدتها شوقية.. وقفت قليلاً تسترجع بعض الذكريات.. ثم ركبت السيارة مع حسام.

قالت ورد:

- يلا يا حسام ادخل يمين في الشارع إللي جي.

رد حسام:

- إيه يا ورد على فين.

قالت له ورد وهي تحاول أن تخفي دموعها:

- أيوه يا حسام هروح المقابر.. اطلع على والدي الحاج شحتة.. ووالدتي الله يرحمهم .. مش قلت هتطلبني من عمك شحته الراوي.

قرأت ورد وحسام الفاتحة على والدتها شوقية ووالدها شحتة الراوي.. جلست ورد بجوار قبرهما.. بدأت تتحدث إليهم وهي تمسح دموعها:

- يابا.. أنا جيت عندك يابا وجيبه عريسي معايا.. ياما أنا جيلكم النهاردة وجيبه عريسي يمكن إنتي مشفتهوش ياما لكن أبويا شافة وعرفة كويس.. صح يابا هو حسام ابن ابو يوسف.. بقى ظابط.. إنت عارف أنا كنت موافقة عليه من أول ما طلب إيدي منك.. جيت معاه النهاردة عشان تكون عارف.. إن بنتك هتتجوز إللي بتحبة والراجل إللي إنت وافقت عليه.. كلنا بخير يابا.. وأخواتي بخير الحمدلله.

قامت ورد وودعت والدها ووالدتها:

- مع السلامة يابا مع السلامة ياما.. ربنا يرحمكم.

بكت ورد كثيرًا.. ضمها حسام إلى صدره:

- مالك يا ورد مش إنتي إللي قلتي نيجي هنا.. ليه العياط بس.

بدأ حسام بالحديث.. إلى قبر شحتة الراوي:

- عم شحتة.. أنا جيت عشان أقولك.. إني بتقدم وأطلب إيد ورد منك تاني.. وهتكون في عنيا وقلبي طول العمر.. الله يرحمك يا عم شحتة.. كان نفسي تكون معانا إنت وأبويا دلوقتي.. تفرحوا باللحظة دي.

أخذ حسام ورد وضمها.. أوصلها إلى السيارة.. انطلاقا العروسان.. وما زالت الدموع تترقرق من عيون ورد.

قال لها حسام:

- ايه يا ورد اليوم يوم فرح.. صح.

ردت ورد وبدأت تبتسم:

- أيوه طالما عمك شحتة الراوي موافق.. أنا خلاص موافقة يا حضرة المقدم حسام.

أخذ حسام يتراقص بالسيارة على الطريق.. فرحًا مبتهجًا هو وورد.. أخيرا سيضمهما بيت واحد.. عش واحد.

عُلقت الزينة وأقيمت الأفراح.. وانتشر الخبر بحي باب اللوق وجميع شركات الإمبراطورة وأصدقاء حسام بالعمل.

كان عرسًا كبيرًا ضم العديد من أهل الفن ورجال الأعمال والصحفيين ورجال السياسة وأعضاء مجلس الشعب.. الجميع هنا.. عبادة ورقية والخال عويضة وزوجته حسنات وكل الأهل والأحباب.. وصديقات ورد في المدرسة الثانوية رنا وحنين.. الجميع يهنئ ويبارك زواج ورد وحسام.. يبارك هذا الحب الذي نشأ في الصبا.. ولم يقّدر له حينها أن يتوج بالزواج.. إلا أن جاءت اللحظة التي تمناها كل من ورد وحسام.. نعم تأخرت كثيرًا.. لكنهما الآن معًا.

●●●

الفهرس	الصفحة

إهداء :..... ٥

مقدمة:..... ٧

هنا القاهرة:..... ١١

البحث عن عمل:..... ٢١

أرزاق :..... ٢٩

مطعم الشامي:..... ٣٩

حي باب اللوق:..... ٥١

هل يطرق الحب باب الفقراء...؟ ٦٣

غرور المعلم طاهر:..... ٧٥

شتاء عاصف:..... ٨٣

مكيدة:..... ٩١

حب لا يموت :..... ١٠٥

آه من الآيام:..... ١١٧

الإمبراطورة:..... ١٣١

الفخ:..... ١٤٥
الصفعة:..... ١٥١
السلطة والنفوذ:..... ١٥٧
أيام صعبة:..... ١٦٩
سيادة النائبة :..... ١٨٣
تجارة غير مشروعة :..... ١٩١
بلاغ لجهة سيادية:..... ٢٠١
الضفائر الحمراء:..... ٢١٧
الصيد الثمين :..... ٢٢١
ويبقى الحب:..... ٢٣٣

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر